

T.C.
İNÖNÜ ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ



Ibn Abdirabbih el-Endelusi'nin Divanındaki Söz Sanatları

المحسّنات اللفظية في ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي

DANIŞMAN
Prof.Dr. SABRİ TÜRKMEN

HAZIRLAYAN
AHMET KAYS HARPUTLU

MALATYA-2023

T.C.
İNÖNÜ ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

Ibn Abdirabbih el-Endelusî'nin Divanındaki Söz Sanatları

المحسّنات اللفظية في ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN
AHMET KAYS HARPUTLU

DANIŞMAN
Prof.Dr. SABRİ TÜRKMEN

MALATYA-2023

مُلَخَّص:

قَدَّمَ البَاحِثُ بَدَايَةَ صُورَةٍ مُتَكَامِلَةٍ عَنِ حَيَاةِ الشَّاعِرِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الأَنْدَلُسِيِّ، الَّذِي عُدَّ رَأْسَ طَبَقَةِ شُعْرَاءِ الأَنْدَلُسِ وَأَشْعَرَ شُعْرَائِهَا، ثُمَّ عَرَضَ آرَاءَ العُلَمَاءِ فِي نَتَاجِهِ الأَدَبِيِّ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى مُؤَلَّفَاتِهِ الأَدَبِيَّةِ وَصُولاً إِلَى دِيَوَانِهِ، فَبَيَّنَ أَهَمَّ الأَغْرَاضِ الشُّعْرِيَّةِ فِيهِ.

شَرَعَ البَاحِثُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدِرَاسَةِ المُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ البَدِيعِيَّةِ، فَتَتَبَعَ مَعَانِيَهَا اللُّغَوِيَّةَ وَالأَصْطِلَاحِيَّةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ عَنْ أَنْوَاعِهَا، فَأَحْصَى أَسْمَاءَهَا الْمُخْتَلِفَةَ، وَحَدَّدَ الضَّوَابِطَ الدَّقِيقَةَ لِكُلِّ نَوْعٍ، وَمَثَّلَ لَهَا بِالشَّوَاهِدِ العَرَبِيَّةِ الفَصِيحَةِ.

ثُمَّ انْكَبَّ البَاحِثُ عَلَى الدِّيَوَانِ بَحْثًا وَتَنْقِيًا، فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِظْهَارِ الأَثَرِ الفَنِّيِّ لِلْمُحَسَّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ، وَفَهَمَ دَوَافِعَ اسْتِخْدَامِ الشَّاعِرِ لَهَا.

لِيُثَبِّتَ البَاحِثُ فِي النِّهَايَةِ القُدْرَةَ البَلَاغِيَّةَ عِنْدَ الشَّاعِرِ، وَبِأَنَّ الدِّيَوَانَ مَصْدَرٌ بَلَاغِيٌّ ثَرِيٌّ يَحْوِي نَبْعًا بَدِيعِيًّا عَذْبًا يُسْتَسَاعُ فَهْمُهُ وَقِرَاءَتُهُ، مُسْتَعْدِمًا المَنْهَجَ التَّارِيخِيَّ، وَالاِجْتِمَاعِيَّ، وَالنَّفْسِيَّ، وَالْوَصْفِيَّ التَّحْلِيلِيَّ، مَعَ العِلْمِ أَنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ فِي المَنَاحِجِ كَانَ مِمَّا اقْتَضَتْهُ ضَرُورَاتُ البَحْثِ.

وَحُتِمَ البَحْثُ بَعْدَ نَتَائِجِ مِئْهَا:

- أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ مُعْظَمَ قَصَائِدِهِ وَقِطْعِهِ الشُّعْرِيَّةِ القَصِيرَةِ بِبَيْتٍ مُصَرَّعٍ.

- أَنَّ التَّضْمِينَ عِنْدَ الشَّاعِرِ لَهُ نَمَطٌ خَاصٌّ، يَقُومُ عَلَى تَضْمِينِ بَيْتٍ كَامِلٍ فِي آخِرِ القَصِيدَةِ، دُونَ

الإِشَارَةِ إِلَى قَائِلِهِ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: البلاغة، عِلْمُ البَدِيعِ، المُحَسَّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ، دِيَوَانُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ.

Abstract:

The researcher presented a complete picture of Andalusian poet, Ibn Abd Rabboh's life, who was considered a pioneer and one of the topest poets in Andalusia. The researcher also discussed scholars' opinion on Ibn Abd Rabboh's literary works. Finally, the researcher throughly investigated his literature reaching out Ibn Abd Rabboh's collection (*diwan*), pointed out its significant poetic pruposes and themes.

Subsequently, the researcher embarked on studying the linguistic and verbal rhetorical devices (*Al-muhsinat al-lafziyyah al-badi'iyyah*), tracing their linguistic and technical meanings. Then, the researcher went on to discuss the various types and styles of verbal rhetorical devices, listing their different names, defining precise criteria for each style, and providing examples from eloquent Arabic resources.

Furthermore, the researcher focused extensively on the collection (*diwan*) itself, aiming to demonstrate the artistic impact of the verbal rhetorical devices and to understand the poet's instincts for employing them. This gave the researcher the ability to confirm that the poet possesses linguistic skills. The researcher also illustrated that the *diwan* is a rich source containing distinguished linguistic elements, enabling easy reading and comprehension. In order to achieve these objectives, the researcher employed various approaches, including historical, social, psychological methods, and descriptive analysis. It is important to note that the use of these diverse approaches was essential for conducting this work.

In conclusion,

-the researcher stated that the poet often began the majority of his poems and verses with a special line of poetry.

-The researcher also noted that the poet had a distinctive style of incorporation, in which he would include a complete line of poetry without explicitly mentioning the narrator.

Key words: linguistic, rhetorical devices, rhetoric, Ibn Abd Rabbah's *diwan*



فهرسُ الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
	الملخص
	الفهرس
	مقدمة
٤	مدخل
٦	المبحث الأول: ابن عبد ربّه الأندلسي
٦	المطلب الأول: نشأته وحياته ووفاته
١٠	المطلب الثاني: الآراء الفنية في ابن عبد ربّه
١٢	المطلب الثالث: مؤلفاته
١٩	المبحث الثاني: علم البديع
١٩	المطلب الأول: تعريف علم البديع
١٩	1. البديع في اللغة
٢٠	2. البديع في الاصطلاح
٢١	المطلب الثاني: نشأة علم البديع وتطوره
٢٥	المبحث الثالث: المحسنات اللفظية البديعية
٢٥	المطلب الأول: الجناس
٢٥	1. الجناس في اللغة
٢٦	2. الجناس في الاصطلاح
٢٧	3. أنواع الجناس
٣٧	4. بلاغة الجناس
٣٧	المطلب الثاني: التصريح
٣٧	1. التصريح في اللغة
٣٨	2. التصريح في الاصطلاح
٣٩	3. مراتب التصريح

٤٢	4. بَلَاغَةُ التَّصْرِيعِ
٤٣	المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الاقتباس والتّضمين
٤٣	1. الاقتباس
٤٣	1.1. الاقتباس في اللغة
٤٣	2.1. الاقتباس في الاصطلاح
٤٦	3.1. حُكْمُ الاقتباس
٤٧	4.1. بَلَاغَةُ الاقتباس
٤٨	2. التّضمين
٤٨	1.2. التضمين في اللغة
٤٨	2.2. التضمين في الاصطلاح
٥٣	3.2. جَوْدَةُ التّضمين
٥٤	4.2. بلاغة التّضمين
٥٥	المطلب الرابع: لزوم ما لا يلزم
٥٥	1. الروي والرّدْف والوصل
٥٦	2. تعريفه
٥٨	3. بلاغة لزوم ما لا يلزم
٥٩	المطلب الخامس: ردّ العجز على الصدر
٥٩	1. ردّ العجز على الصدر لغةً
٥٩	2. ردّ العجز على الصدر اصطلاحاً
٦١	3. وجوه ردّ العجز على الصدر
٦٣	4. بلاغة ردّ العجز على الصدر
٦٤	المبحث الرابع: المُحسناتُ اللفظيّةُ في ديوانِ الشّاعِرِ
٨٩	الخلاصة
٩١	المصادر والمراجع والمعاجم

مُقدِّمة:

إنَّ الأندلسَ ستَبْقَى في ضَمِيرِ كُلِّ مُسْلِمٍ، فَهِيَ المَاضِي الذي نَتَوَقُّ إِلَيْهِ، والمُسْتَقْبَلُ الذي نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ، وَلَعَلَّ وَاقِعَ سُقُوطِ الأندلسِ واندثارِ حَضَارَتِهَا بَعْدَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الرِّقْيِ والمَدَنِيَّةِ، يَبْقَى جُرْحاً غَائِراً فِي وَجَدَانِ الأُمَّةِ، وَمُحَرِّكاً يَحُثُّ الدَّارِسِينَ عَلَى إلقاءِ المَزِيدِ مِنَ الضَّوءِ عَلَى فُنُونِهَا وآدَابِهَا.

يُشَكِّلُ أدبُ الأندلسِ جُزْءاً مُهِمّاً مِنَ الأدبِ العَرَبِيِّ، وَمَنْ يَتَصَفَّحُ تَأْلِيفَهُ وَمُصَنَّفَاتِهِ يَجِدُ أَنَّ الأدبَ الأندلسيَّ عَامَّةً والشَّعْرَ خَاصَّةً يَسْتَحِوْذُ عَلَى مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ مِنْ أَدْبِنَا، وَرَغْمَ أَنَّ الأندلسيينَ قَدْ نَظَمُوا فِي بَادِيِ أَمْرِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِ الشَّعْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ، فَقَدْ طَوَّرُوا مَوْضُوعَ الرِّثَاءِ فَأَوْجَدُوا "رِثَاءَ المَدُنِ وَالْمَمَالِكِ الزَّائِلَةِ"، كَمَا نَظَمُوا "شِعْرَ الإِسْتِعَانَةِ"؛ نَتِيجَةً لِأَوْضَاعِ عَصْرِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ، كَمَا أَحْدَثَ الأندلسِيُّونَ "فَنَّ المَوْشَحَاتِ"؛ لِيَتَجَاوَبَ مَعَ البَيْئَةِ الَّتِي شَاعَ فِيهَا الغَزْلُ والشَّرَابُ والغِنَاءُ، فَالأدبُ الأندلسيُّ جَدِيرٌ بِكُلِّ مُحَاوَلَةٍ تَسْتَهْدِفُ دِرَاسَتَهُ وَفَهْمَهُ.

إنَّ البَلَاغَةَ هِيَ العِلْمُ الذي تُعَرَّفُ بِهِ فَصَاحَةُ الكَلَامِ، مَعَ مُنَاسِبَتِهِ لِلْمَقَامِ، وَوَقَائِهِ بِالمَعْنَى المُرَادِ مَعَ جَمَالِ الأسْلُوبِ، وَلِلْبَلَاغَةِ مَنَزِلَةٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَتُعَدُّ مِنَ عُلُومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ لِأَنَّهُ يُشْتَرَطُ لِمَنْ يَتَصَدَّى لِتَفْسِيرِهِ أَنْ يَعْرِفَ البَلَاغَةَ، كَمَا أَنَّ مَعْرِفَتَهَا مُهِمَّةٌ لِعِلْمِي العَقِيدَةِ وَأُصُولِ الفِقْهِ.

وَمِنْ هُنَا جَاءَ اخْتِيَارُ مَوْضُوعِ الرِّسَالَةِ "المُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ فِي دِيْوَانِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الأندلسيِّ" لِيَجْمَعَ بَيْنَ اهْتِمَامِي بِالأندلسِ وَحَضَارَتِهَا، وَحُبِّي لِلْبَلَاغَةِ العَرَبِيَّةِ وَفُنُونِهَا.

أَمَّا الِهْدَفُ مِنَ الدِّرَاسَةِ: فَهُوَ إعْطَاءُ صُورَةٍ مُتَكَامِلَةٍ عَنْ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الأندلسيِّ، بِوَصْفِهِ كَبِيرَ شُعْرَاءِ الأندلسِ وشَاهدًا عَلَى حَقِيَّةِ مُهِمَّةٍ مِنْ تَارِيخِهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى سَبْرِ أَغْوَارِ المُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ، بِدَءٍ مِنْ إحصَاءِ الأَسْمَاءِ الَّتِي أَطْلَقَهَا العُلَمَاءُ عَلَيْهَا، مُرُوراً بِتَثْبِيتِ الحُدُودِ الدَّقِيقَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، بَعْدَ الإِطْلَاعِ عَلَى

تعاريفه المتعددة التي أوردها كبار علماء البلاغة، وانتهاءً باستخراج أمثلة عن كل محسنٍ لفظيٍّ قُمتُ بدراسته من ديوان الشاعر ابن عبد ربّه الأندلسي، مع دراسة الأثر الفني الذي أحدثه، لتكون الدراسة التطبيقية، نتيجاً لهذا البحث، ودلالةً على فهمه الفهم الصحيح.

الملاحظ في الدراسات السابقة أنها توجّهت بمعظمها: إما إلى دراسة المحسنات البديعية في سورٍ معيّنة من سور القرآن الكريم، وربما مرّد ذلك أنّ تفسير القرآن الكريم، كتفسير "الكشاف" للزمخشري، وتفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير التحرير والتثوير لابن عاشور، قد اعتنت بالبلاغة، لكنّ هذا يفقّد الدراسة التطبيقية قيمتها؛ لأنّه يعني أنّه لا جديد يُضاف إلى ميدان البحث.

وإمّا إلى دراسة المحسنات عند أئمة الدين الذين نظّموا في الشعر، وتفسير ذلك أنّ دواوينهم -إن وجدت- لن تكون كبيرةً مما يُسهّل على الباحث عمله. وأذكر من هذه الدراسات:

-دراسة بعنوان "جماليات البديع دراسة بلاغية سورة الواقعة - أنموذجاً -" قدّمتها الباحِثتان أمال سعيدي ورؤيلة شنان إلى جامعة البويرة في عام ٢٠١٣، لنيل شهادة الماجستير.

-دراسة بعنوان "المحسنات البديعية في سورة الكهف" قدّمتها الباحِث سلمان سالم سلامة الحسوني إلى جامعة الشرق الأوسط في عام ٢٠١٦، لنيل شهادة الماجستير.

-دراسة بعنوان "المحسنات البديعية في سورة المعارج"، قدّمتها الباحِث أريس أسماوتي إلى الجامعة الإسلامية في عام ٢٠٠٧، لنيل شهادة الماجستير.

-دراسة بعنوان "الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني"، قدّمتها الباحثان نصيب دار محمد ومحمود أحمد مفتي إلى مجلة القسم العربي، العدد: ٢٣، في جامعة البنجاب، لاهور، ٢٠١٦.

-دراسة بعنوان "أثر الاقتباس والتضمين في شعر لسان الدين ابن الخطيب" قدّمتها فرج منسي محمد وفاطمة أحمد حماد إلى مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد: ٢٧، ٢٠١٨.

إنَّ دِرَاسَةَ الْمُحَسَّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي دِيَوَانِ مِنْ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ، لَيْسَتْ جَدِيدَةً بِحَدِّ ذَاتِهَا، لَكِنِّي حَاوَلْتُ أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَ عُمَقًا، فَابْتَعَدْتُ عَنِ السَّطْحِيَّةِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، وَسَعَيْتُ بِشَكْلِ دَائِمٍ إِلَى تَحَرُّ الدَّقَّةِ، مَعَ مُحَاوَلَةِ الْإِحَاطَةِ بِالْمَوْضُوعِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ.

إنَّ اضْطِرَابَ تَقْسِيمَاتِ الْمُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَتَدَاخُلَهَا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ، كَانَتْ إِحْدَى الْمَشْكِلاتِ الَّتِي وَاجَهْتَنِي أَثْنَاءَ إِعْدَادِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، أَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ تَعَدُّدَ مُسَمِّيَّاتِ الْمُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَاخْتِلَافُهَا بَيْنَ عَالَمٍ وَآخَرَ، قَدْ زَادَ مِنْ صُعُوبَةِ الْبَحْثِ، وَالزَّمَنِي أَنْ أَبْذِلَ الْمَزِيدَ مِنَ الْجُهْدِ.

مِنَ الْمَشْكِلاتِ أَيْضًا غِيَابُ وُجُودِ تَعْرِيفَاتٍ وَاضِحَةٍ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ، فَقَدْ دَأَبَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ الْكِبَارِ عَلَى تَعْرِيفِ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ بِالْعُمُومِ، كَأَنْ يَقُولُوا مَثَلًا: أَنَّ الْجِنَاسَ الْمُزْدَوَجَ يَكُونُ إِذَا تَجَاسَّ اللَّفْظَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ. لَكِنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا عَدَدَ الْحُرُوفِ الْوَاجِبِ اخْتِلَافُهَا، فَهَلْ زِيَادَةُ لَفْظٍ عَلَى آخَرَ بِثَلَاثَةِ حُرُوفٍ مَثَلًا يَجْعَلُهُ مِنَ الْجِنَاسِ الْمُزْدَوَجِ أَمْ لَا؟.. لَا نَجِدُ أَجْوَبَةً عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ، ثُمَّ يُورِدُونَ أَمثلةً عَلَيْهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، أَمَّا كُتُبُ الْبَلَاغَةِ الْمُعَاصِرَةِ فَقَدْ اِكْتَفَتْ بِنَقْلِ مَا قَالَهُ الْأَقْدَمُونَ دُونَ التَّعْقِيبِ عَلَيْهِ.

أحمد قيس هريوتلو

ملاطيا

٢٠٢٣

مدخل:

إنَّ ابنَ عبدِ ربِّه الأندلسيَّ هوَ أشعرُ شعراءِ الأندلسِ ورأسُ طبقتها، وديوانُهُ إلى جانبِ قيمتهِ الفنيَّةِ العاليَةِ، يُعدُّ وثيقةً تاريخيَّةً مهمَّةً، فهوَ يُوثِّقُ مرحلةً مهمَّةً من تاريخِ الأندلسِ، وذلكَ بِحكمِ قُرْبِهِ واتِّصالِهِ بِخُلَفَاءِ الأندلسِ - مُحَمَّدَ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ، عبدِ الله بنِ مُحَمَّدٍ، وعبدِ الرَّحْمَنِ الثَّالثِ النَّاصِرِ - وإليه نَسَبَ البعضُ ابتداعَ فنِّ المؤشَّحاتِ، كما أشارَ إلى ذلكَ ابنُ بسَّامٍ (ت: ٥٤٢ هـ)، وصَلَّاحُ الدِّينِ الصَّفَّديّ (ت: ٧٦٤ هـ)، وابنُ شاکرِ الكُتُبِيِّ (ت: ٧٦٤ هـ). أَضِفْ إلى ذلكَ مكانتهِ ككاتبٍ والتي اكتسبها من تأليفِ كتابِ "العقدِ الفردِ" الذي يُعتَبَرُ إلى يومنا هذا أحدَ أهمِّ كُتُبِ الأدبِ.

على الجانبِ الآخرِ فإنَّ للمُحَسَّناتِ البديعيَّةِ اللفظيَّةِ دورٌ مهمٌّ أيضاً في تزيينِ الكلامِ وتذويقه إنَّ أحسنَ استِعمالها وسُخِّرت في خدمةِ المعنى.

إنَّ دراستي هي محاولةٌ متواضعةٌ، لِتلمُّسِ الجوانبِ البديعيَّةِ اللفظيَّةِ في ديوانِ الشَّاعرِ، والاطلاعِ على كَيْفِيَّةِ تَعاطيِ الشَّاعرِ معها، وطَريقَةِ تَوْظيفِهِ لَهَا، وفَهمِ الدَّوافِعِ التي دَعَتْهُ إلى اللُّجُوءِ إلى المُحَسَّناتِ، إِعْتِماداً على حَالَةِ الشَّاعرِ النَّفْسيَّةِ التي تُفهمُ من سياقِ ومُوضوعِ القصيدةِ.

إنَّ طَبِيعَةَ البَحْثِ اقْتَضَتْ التَّنَوُّعَ فِي المَناهجِ، فَقَدْ التَّرَمْتُ بِالمَنهجِ التَّاريخيِّ، والاجْتِماعيِّ، والنَّفْسيِّ، فِي دراسةِ الجوانبِ المُتعلِّقةِ بِحياةِ الشَّاعرِ وَشَخْصِيَّتِهِ، كما التَّرَمْتُ بِالمَنهجِ الوَصْفيِّ التَّحليليِّ فِي دراستي وَتَحليلي لِلأبياتِ التي احتوتْ على المُحَسَّناتِ اللفظيَّةِ، كما حاولتُ الخُضُوعَ لِلمَنهجِ العِلْميِّ فِي اسْتِقْراءِ المَصادِرِ والنَّناجِجِ والأحكامِ، مَعَ التَّزامِ المَوْضُوعيَّةِ فِي الدَّراسةِ.

ولا يفوتني أن أُنقِذَ بالشُّكرِ والامتنانِ للأستاذ الدكتور صبري تُركمان، الذي تَفَضَّلَ بالإشرافِ على هذا البحثِ، وَلَمْ يألُ جُهداً في دَعْمِي وَنُصْحِي وَتَوْجِيهِي، كَمَا أُنَوِّجُهُ بالشُّكرِ لِأَساتِذِي الدكتور حُسَيْن بُولاتِ والدكتور رَمْضَان مَشَه، لِمَا قَدَّمَا مِن عِلْمٍ نَافِعٍ وَإِرْشَادٍ مُسْتَمِرٍّ، وَأُنَوِّجُهُ أَخيراً بالشُّكرِ للأستاذ الدكتور عبد الهادي تيمورتاش الذي مَكَّنَنِي مِن خِلَالِ مُلَاحَظَاتِهِ الْقِيَمَةِ مِن تَجَاوُزِ مَوَاطِنِ الْخَلَلِ فِي الرِّسَالَةِ.



المبحث الأول: ابن عبد ربّه الأندلسي:

المطلب الأول: نشأته وحياته ووفاته

هُوَ أَبُو عُمَرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حَدِيرِ بْنِ سَالِمِ الْقُرْطُبِيِّ. مَوْلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكِيمِ الْأُمَوِيِّ.^١

لَيْسَ فِي الْمَصَادِرِ الْأَوَّلِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ مَكَانَ وَلادَتِهِ فَأَبْنُ الْفَرَضِيِّ (ت: ٤٠٣ هـ) يَذْكُرُ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْ

أَهْلِ قُرْطُبَةٍ، وَابْنُ خَاقَانَ (ت: ٥٢٨ هـ) يَذْكُرُ حَادِثَةً جَرَتْ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ فِي شَبَابِهِ وَهُوَ فِي قُرْطُبَةٍ.

إِذَنْ نَشَأَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي قُرْطُبَةٍ، كَمَا يُسْتَدَلُّ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَتْ قُرْطُبَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

أكبر وأعظم مَدُنِ الْأَنْدَلُسِ، وَعَاصِمَةُ الْأَمْرَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، مُنْذُ زَمَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ إِلَى زَمَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ.

لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَرِّخُونَ شَيْئاً عَنْ حَيَاتِهِ فِي شَبَابِهِ، مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ الَّذِي كَانَ يَمْتَنِّهِهُ، أَوْ الْوِظِيفَةُ الَّتِي كَانَ

يَعْمَلُ بِهَا، وَلَا هُمْ شَرَحُوا كَيْفَ قَضَى حَيَاتَهُ، وَجُلَّ مَا نَجَدُهُ هُوَ ذِكْرُ تَارِيخِ وَلادَتِهِ وَوَفَاتِهِ، وَبَعْضُ الْقِصَصِ وَالنَّوَادِرِ، الَّتِي نَطَّلَعُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى بَعْضِ مَلَامِحِ شَخْصِيَّةِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ.

كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ذَا تَقَافَةٍ أَدِيبِيَّةٍ مَشْرِقِيَّةٍ، وَمَا كَتَبَهُ فِي الْعِقْدِ يَكْفِي لِإِظْهَارِ هَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى أَنَّ الْعِقْدَ -

لَوْلَا فَصْلُ صَغِيرٍ فِيهِ عَنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ - قَدْ اقْتَصَرَ عَلَى أَخْبَارِ الشَّرْقِ.

^١ انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ، ابْنُ خُلَكَانَ، تَحْقِيقُ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ، دَارُ صَادِرٍ، بَيْرُوتَ (١/١١٠).

اتَّصَلَ بِالْأَمْرَاءِ وَرِجَالِ الدَّوْلَةِ وَمَدَحَهُمْ، وَكَانَتْ أُولَى مَدَائِحِهِ لِلأَمِيرِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ)، وَعِنْدَمَا تُوفِّيَ مَدَحَ ابْنَهُ الْمُنْذِرَ (٢٧٣-٢٧٥ هـ)، وَبَعْدَ وَقَاةِ الْمُنْذِرِ خَلَفَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ (٢٧٥-٣٠٠ هـ)، فَمَدَحَهُ لِأَوَّلِ اسْتِيلَائِهِ عَلَى صَوْلَجَانِ الْحُكْمِ، وَعِنْدَمَا خَلَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ جَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ (٣٠٠-٣٥٠ هـ)، كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَحَدَ مُعَلِّمِيهِ، وَكَانَ النَّاصِرُ جَدِيرًا بِكُلِّ حَمْدٍ، فَعَاشَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ حَتَّى وَفَاتِهِ يَتَغَنَّى بِفُتُوحَاتِهِ وَانْتِصَارَاتِهِ.^٢

كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مُوَلَعًا بِالْغِنَاءِ، كَمَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنْ قِصَّةِ أَوْرَدَهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ يَقُولُ فِيهَا: «أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ أَنَّهُ مَرَّ بِقَصْرِ مِنْ قُصُورِ قُرْطُبَةَ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ، فَسَمِعَ مِنْهُ غِنَاءً أَذْهَبَ لُبَّهُ، وَأَلْهَبَ قَلْبَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ وَقِفٌ تَحْتَ الْقَصْرِ، إِذْ رُشَّ بِمَاءٍ مِنْ أَعَالِهِ، فَاسْتَدَعَى رُقْعَةً، وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ الْقَصْرِ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ:

يَا مَنْ يَضِيئُ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الْبُخْلَ فِي أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةٌ أَصْنَعْتُ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
 فَلَا تَضِنَّ عَلَى سَمْعِي وَمَنْ بِهِ صَوْتًا يَجُولُ مَجَالَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
 أَمَّا النَّبِيذُ فَإِنِّي لَسْتُ أَشْرِبُهُ وَلَسْتُ آتِيكَ إِلَّا كَسَوْتِي بِيَدِي»^٣

وَقَدْ جَاهَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِحُبِّهِ وَشَغَفِهِ بِالْغِنَاءِ، وَمِمَّا وَرَدَ عَلَى لِسَانِهِ قَوْلُهُ: «وَكَرِهْنَا أَنْ يَكُونَ كِتَابُنَا هَذَا بَعْدَ اسْتِمَالِهِ عَلَى فُنُونِ الْأَدَابِ، وَالْحِكْمِ وَالتَّوَادِرِ وَالْأَمْثَالِ، عَطْلًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، الَّتِي هِيَ مُرَادُ السَّمْعِ، وَمَرْتَعُ النَّفْسِ وَرَبِيعُ الْقَلْبِ، وَمَجَالُ الْهَوَى، وَمَسَلَّةُ الْكَيْبِ، وَأَنْسُ الْوَحِيدِ، وَزَادُ الرَّكَبِ؛ لِعِظَمِ مَوْقِعِ الصَّوْتِ الْحَسَنِ مِنَ الْقَلْبِ، وَأَخَذِهِ بِمَجَامِعِ النَّفْسِ»^٤.

^٢ أنظر تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، (٨/١٨٩).

^٣ الفتح بن خاقان، مطمع الأنفس ومسرح التأنسي، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، (٢٧٠-٢٧١).

^٤ العقيد الفريد، (٣/٧).

لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ كَانَ يَتَعَاطَى الْمُسْكِرَاتِ، لَكِنْ فِي شِعْرِهِ عَنِ الْخَمْرِ بَعْضُ التَّنَاقُضَاتِ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مَرَّتْ قَبْلَ قَلِيلٍ قَوْلُهُ: «أَمَّا النَّبِيذُ فَإِنِّي لَسْتُ أَشْرِبُهُ». لَكِنْ فِي بَاقِي شِعْرِهِ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً يَذْكُرُ فِيهَا حُبَّهُ لِلْخَمْرِ، وَشُرْبَهُ لَهُ، بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ بِأَنَّهُ كَانَ يَشْرِبُهُ. يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَاصِفاً أَثَرُ الْخَمْرِ وَتَشَوُّتَهُ:

أَصْعَى إِلَيْكَ بِكَأْسِهِ مُصْغٍ صَلَّتُ الْجَبِينِ مُعْزَبُ الصُّدْغِ
كَأْسٌ تَوَلَّدَ بِالْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا طَوْرًا وَتَنْزِعُ أَيَّمَا نَزْعٍ

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فَفِيهَا، وَرُبَّمَا طَرَقَ أَبْوَابَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا أوردَهُ ابْنُ الْفَرَضِيِّ، فَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَسَاتِدَتِهِ. يَقُولُ فِي ذَلِكَ: «سَمِعَ: مِنْ ابْنِ وَضَّاحٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ مَطْرُوحٍ، وَالْخُسْنِيِّ، وَأَبَانَ بْنَ عَيْسَى بْنِ دِينَارٍ، وَغَيْرِهِمْ^٥»، فَالْخُسْنِيُّ مَثَلًا كَانَ مِنْ حُفَاطِ الْحَدِيثِ، وَابْنُ دِينَارٍ كَانَ فَفِيهِ الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ.

وَمِنْ الْقِصَصِ الَّتِي تُروى، وَنَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ نَتَلَمَّسَ شَيْئًا مِنْ شَخْصِيَّةِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، الَّتِي كَانَتْ تَرْفُضُ الدَّجَلَ وَالشَّعْوَذَةَ، وَتُؤْمِنُ إِيْمَانًا عَمِيقًا بِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ هُوَ النَّافِذُ، مَا أوردَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (ت: ٣٢٨ هـ) يَقُولُ: «دَخَلَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْوَزِيرِ جَهْورَ بْنِ الضَّيْفِ، وَكَانَ الْقَحْطُ قَدْ أَلْحَ وَالْغَيْثُ قَدْ احْتَبَسَ، وَاعْتَمَّ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَتَحَدَّثَ الْمُتَنَجِّمُونَ بِتَأْخِيرِ الْغَيْثِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَمِنْ هَؤُلَاءِ ابْنُ عِزْرَاءَ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ لِلْوَزِيرِ: هَذَا مِنْ أُمُورِ اللَّهِ الْمُغَيَّبَةِ، وَرَجَا اللَّهُ أَنْ يُخْلِفَ حِسَابَ الْمُتَنَجِّمِينَ، فَمَا كَانَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى نَزَلَ الْمَاءُ لَيْلًا، فَأَفَاقَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَقَرَّبَ الْمِصْبَاحَ وَدَعَا بِالدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ وَكَتَبَ لِلْوَزِيرِ:

مَا قَدَّرَ اللَّهُ هُوَ الْغَالِبُ لَيْسَ الَّذِي يَحْسِبُهُ الْحَاسِبُ

^٥ العقد الفريد، (٦/٣٦٣).

^٦ ابن الْفَرَضِيِّ، تَارِيخُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ، تَحْقِيقُ عَزَّتِ الْعَطَارِ الْحُسَيْنِي، مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي، الْقَاهِرَةُ، ١٩٨٨، (١/٤٦).

وما رجاءٌ عندهُ خائبٌ قد صدَّقَ اللهُ رجاءَ الوری»^٧

وروی الرواةُ أنَّ ابن عبد ربِّه قد تابَ فی آخرِ حیاته عن أمورٍ ارتکبها فی شبابه، واعترفَ بِذلكَ إعرافَ المتألِّم، وعمدَ إلى أشعاره فی الغزل، فمحصَّها ونقضَّها بمثلها فی الزهدِ والمواعظ، وجعلها على أعاريضِ تلكَ القصائدِ وقوافيها، ومنها القطعة الغزلیَّة التي أولها:

هلاً ابتكرتَ لبینٍ أنتَ مُبتكرُ هیهاتَ أبی علیكَ اللهُ والقدرُ^٨

فإنَّه قد محصَّها ونقضَّها بقوله:

يا قادراً ليسَ یعفو حينَ یفتدُّ ولا یقضی له من عیشةٍ وطرٍ
عاینَ بقَلْبِكَ إِنَّ العینَ غافلةٌ عن الحقیقة، واعلمْ أنَّها سقرُ
إِنَّ الذینَ اشترَوا دُنیا بآخرِةٍ وشِقوةٌ بنعيمٍ، ساءَ ما تجروا
یا مَنْ تلَهَّى وشَیْبُ الرأسِ یندُبُه ماذا الذي بَعْدَ شَیْبِ الرأسِ تَنْتَظِرُ؟
لو لم یكنْ لكَ غیرَ الموتِ موعظةٌ لكانَ فیهِ عَنِ اللذاتِ مُزدَجِرُ
أنتَ المَقولُ لهُ ما قُلْتُ مُبتدأً: «هلاً ابتكرتَ لبینٍ أنتَ مُبتكرُ؟»^٩

«تُوفِّي أبو عمرُ أحمد بن عبد ربِّه سَنَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مَائَةٍ، لِاثْنَتَيْ عَشَرَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، وَمَوْلِدُهُ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، لِعِشْرِ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَاسْتَوْفَى إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ»^{١٠}، وَقَدْ أَصَابَهُ الْفَالَجُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَعْوَامٍ.^{١١}

^٧ ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٩٧/١).

^٨ ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي، (٧٠).

^٩ ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي، (٧١).

^{١٠} الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، (١١٠).

^{١١} صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، (١٠/٨).

المطلب الثاني: الآراء الفنية في ابن عبد ربّه

لَا شَكَّ فِي أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلُسِيَّ - وَهُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ - قَدْ حَازَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ ثَنَاءِ عُلَمَاءِ عَصَرِهِ، وَثَنَاءٍ مِنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، فَعَبَّدَ الْمَلِكُ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٤٢٩ هـ) عَدَّهُ مِنْ أَكْبَرِ أَدْبَاءِ وَشُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَوَصَفَ شِعْرَهُ بِأَوْصَافِ الْقُوَّةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْجَمَالِ، وَمِمَّا قَالَهُ فِي شَاعِرِنَا: «أَحَدُ مُحَاسِنِ الْأَنْدَلُسِ عِلْمًا وَقَضْلًا وَأَدْبًا وَنُبْلًا، وَشِعْرُهُ فِي نَهَايَةِ الْجَزَالَةِ وَالْحَلَاوَةِ، وَعَلَيْهِ رَوْنَقُ الْبَلَاغَةِ وَالطَّلَاوَةِ»^{١٢}.

أَمَّا ابْنُ شَرْفٍ الْقَيْرَوَانِيُّ (ت: ٤٦٠ هـ) فِي رِسَالَتِهِ "مَسَائِلُ الْإِنْتِقَادِ"، فَلَمْ يَتْرِكْ وَصْفًا جَمِيلًا إِلَّا وَقَدْ أَسْبَغَهُ عَلَى ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ. فَقَالَ: «فَأَمَّا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ، وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْكَ دِيَارُهُ، فَقَدْ صَاقَبْتَنَا أَشْعَارُهُ. وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبَوْتِهِ الْأَنْيَقَةِ، وَتَكْفِيرَاتِ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ؛ وَمَدَائِحِ الْمَرْوَانِيَّةِ، وَمَطَاعِنِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ. وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِسٌ؛ وَأُطْلِعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ، وَأَدَاةٍ فَهْمٍ مُضِيٍّ نَاصِعٍ؛ وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظْمَ عِقْدِهِ، وَتَرْكُهُ لِمَنْ يَتَجَمَّلُ بِهِ بَعْدَهُ»^{١٣}.

وَيُشِيرُ الْحَافِظُ الْحَمِيدِيُّ (ت: ٤٨٨ هـ)، إِلَى أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ قَدْ أَعَادَ لِلأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ أُلُقَهُ، بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الضَّعْفِ أَلَمَتْ بِهِ. يَقُولُ مُعَبَّرًا عَنْ ذَلِكَ: «وَكَانَ لِأَبِي عُمَرَ بِالْعِلْمِ جَلَالَةٌ، وَبِالْأَدَبِ رِيَاسَةٌ، وَشُهْرَةٌ، مَعَ دِيَانَتِهِ، وَصِيَانَتِهِ؛ وَاتَّفَقَتْ لَهُ أَيَّامٌ وَلَوَايَاتٌ لِلْعِلْمِ فِيهَا نِفَاقٌ؛ فَسَادَ بَعْدَ خُمُولٍ، وَأَثَرَى بَعْدَ فَقْرٍ، وَأَشِيرَ بِالنَّفْضِيلِ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ الشَّعْرُ عَلَيْهِ»^{١٤}.

^{١٢} الثَّعَالِبِيُّ، يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ، تَحْقِيقُ مَفِيدِ مُحَمَّدٍ قَمْحِيَّةٍ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتَ، ١٩٨٣م، (٨٥/٢).

^{١٣} مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَيْرَوَانِيِّ، مَسَائِلُ الْإِنْتِقَادِ، الْمَكْتَبَةُ الشَّامِلَةُ، (٤).

^{١٤} جَزْوَةُ الْمُقْتَبَسِ فِي ذِكْرِ أَعْلَامِ الْأَنْدَلُسِ، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ، (١٠١).

الوزير الكاتب أبو النصر الفتح بن خاقان ترجم سيرة مشاهير عصر الطوائف، وكانت له وقفة طويلة مع ابن عبد ربّه، الذي نظم شعراً نافس به مُبتدعيه من المشرقيين. يقول: «عالم ساد بالعلم ورأس، واقتبس به من الخطوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره، واستطار شرر الذكاء فكره، وكانت له عناية بالعلم وثقة، ورواية له مُتسقة، وأمّا الأدب فهو - كان - حُجته، وبه غمرت الإفهام لُجته، مع صيانة وورع، وديانة ورد ماءها فكرع، وله التأليف المشهور الذي سماه بـ العقد وحماءه عن عنزات الألباب، وتبصر السحر منه في كل باب، وله شعر انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحسان وسُهاه».^{١٥}

أبو العباس النفاشي (ت: ٦٥١ هـ) في معرض حديثه عن طبقات الشعراء، كان له كلام لافت، فقد جعل ابن عبد ربّه الأندلسي، أشعر شعراء الأندلس. فقال: «الشعراء خمس طبقات: الجاهلية ورأسها امرؤ القيس، والمُخضرمون ورأسهم حسان، والإسلامية ورأسها جرير، والمُحدثون ورأسهم علي بن العباس الرومي، وهذه واقعة على من جاء بعد هذه الطبقة إلى يوم القيامة. وشعراء الأندلس طبقة واحدة ورأسها أحمد بن عبد ربّه».^{١٦}

ابن خلكان^{١٧} (ت: ٦٨١ هـ) صاحب كتاب "وفيات الأعيان"، شهد لابن عبد ربّه بأنه كان من المُكثرين من المحفوظات، وأثنى على اطلاعه الغزير على أخبار الناس، ووصف كتاب العقد بالمتع الذي حوى على كل شيء، كما وصف شعره بالجيد.^{١٨}

^{١٥} مطمح الأنفس ومسرح الناس، مصدر سابق، (٢٧٠).

^{١٦} أبو العباس النفاشي، سرور النفس بمدرّك الحواس الخمس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، (٤٠).

^{١٧} أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (٤) البرمكي الإربلي، أبو العباس، المؤرخ الحجة، والأدب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ط) وهو أشهر كتب التراجم. أنظر إلى الأعلام (١/٢٢٠).

^{١٨} أنظر إلى وفيات الأعيان، مصدر سابق، (١١٠/١).

صَلاَحُ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّفَدِيِّ، رَجَّحَ أَنْ يَكُونَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ هُوَ مُبْتَدِعُ الْمُوشَّحَاتِ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ: «الْمُوشَّحُ فَنُّ تَقَرَّدَ بِهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ، وَامْتَاَزَا بِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَتَوَسَّعُوا فِي فُنُونِهِ، وَأَكْثَرُوا مِنْ أَنْوَاعِهِ وَضُرُوبِهِ. وَقِيلَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَظَّمَ الْمُوشَّحَاتِ بِالْمَغْرِبِ، الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَقْدِ».^{١٩}

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقْرِيَّ (ت ١٠٤١ هـ)، يَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ "نَفْحُ الطَّيِّبِ" قِصَّةً تَدُلُّ عَلَى إِعْجَابِ الْمُتَنَبِّيِّ الشَّدِيدِ بِشِعْرِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ يَقُولُ: «وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ أَنَّ أَبَا الْوَلِيدِ ابْنَ عِيَالٍ لَمَّا انصَرَفَ مِنَ الْحَجِّ اجْتَمَعَ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ فِي مَسْجِدِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ، فَقَاوَضَهُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَنْشِدْنِي لِمَلِيحِ الْأَنْدَلُسِ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ، فَأَنْشَدَهُ:

يَا لَوْلَا يَسْبِي الْعُقُولَ أَنْيَقَا وَرَشَاءً بَتَّقَطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ دُرّاً يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَفِيقَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَبْصَرْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاهُ غَرِيقَا
يَا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رَقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَفِيقَا

فَلَمَّا كَمَلَ إِنْشَادُهَا اسْتَعَادَهَا، ثُمَّ صَفَّقَ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ لَقَدْ تَأْتِيكَ الْعِرَاقُ حَبِوًّا».^{٢٠}

^{١٩} صلاح الدين بن أبيك الصفدي، توشيع التوشيح، تحقيق ألبيير مطلق، بيروت، ١٩٦٦، (٢٠).

^{٢٠} شهاب الدين المقرئ، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (٥١/٧).

المطلب الثالث: مؤلفاته

أولاً: العقد الفريد

كتاب العقد الفريد: هو من نوادر الكتب وأندرها وأكرمها، ويعد من أمهات كتب الأدب العربي، قسّم إلى أبواب، حمل كل منها اسم حجر كريم؛ كالزبرجد، والمرجانة، والياقوتة، والجمانة، واللؤلؤة، ويضم في طياته عدداً من الأخبار، والأمثال والحكم، والمواعظ والأشعار.

وقد قسّم ابن عبد ربّه مؤلفه إلى خمسة وعشرين باباً، جعلها كحبات العقد، وجعل الكتاب الثالث عشر منها واسطة العقد، ثم سمى كل كتابين متقابلين على جانبي واسطة، مثل: (الأول والخامس والعشرين)، (الثاني والرابع والعشرين) وهكذا.. باسم جوهرة من الجواهر الثمينة التي تكون حبات العقد: اللؤلؤة الفريدة، والزبرجدة، وهكذا..

ينهج كتاب العقد الفريد نهج ثلاثة كتب سبقته في أدب النوادر والأخبار، هي: (البيان والتبيين للجاحظ)، و(عيون الأخبار لابن قتيبة)، و(الكامل للمبرّد)، وتعتبر الكتب الثلاثة مناهل الكتاب فهو يستقي من أخبارها. تخلّى ابن عبد ربّه عن النهج السائد في الرواية، كما كان في الكتب السابقة، حيث ردّ الأخبار إلى قائلها، كما اهتم بالقيمة الأدبية والأثر الجمالي الذي يتركه في القارئ، وأتبع نهج الاختصار في القول، واختار من النصوص ما كان موجزاً رشيق اللفظ أيضاً.

لا يسرد كتاب العقد الفريد الأخبار العادية، ولا القصص المرسلة، ويختار النوادر العجيبة التي تتضمن مغزى أخلاقياً وعبرة.

يفضل كتاب العقد الفريد يعدّ ابن عبد ربّه الأندلسي، من مؤسسي فن القصّة القصيرة في الأدب العربي، نظراً لاختياراته الجمالية، وتركيزه على التأثير النفسي.

يُعدُّ الكتابُ قيمةً نفيسةً في ميدانِ الأدبِ والثقافة؛ لِأنَّهُ يُمثِّلُ موسوعةً ضخمةً في الثقافةِ العربيَّةِ، تكادُ تكونُ مُكتملةَ الحلقاتِ مِنَ الأخبارِ والنُّصوصِ الأدبيَّةِ. وَهُوَ أوَّلُ كتابٍ في الأندلسِ مِنْ حيثُ الإفاضة والشُّمول والنِّتوْع، وكثرةِ التَّمثُّلِ عَن أدبِ المِشارِقة. كما يُعدُّ أيضاً مَصدراً مُهمّاً، لِمَن يُريدُ معرفةَ حياةِ قُدَماءِ العَرَبِ مِنَ النّاحيةِ الأدبيَّةِ والاجتماعيَّةِ والسياسيَّةِ وغيرها.

أشادَ العُلَماءُ في مُؤلَّفاتهم بهذا الكتابِ، كالأبشيهيّ في "المُستطَرَفِ في كُلِّ فَنٍّ مُستطَرَف"، والبَغداديّ في "خِزانةِ الأدب"، وابن خلدونِ في "المُقَدِّمة"، والقلّشنديّ في "صُبحِ الأعشى"، وابن منظورٍ في "لسانِ العَرَبِ".

ثانياً: ديوان الشّاعر

ديوانُ ابن عبد ربِّهِ الأندلسيّ مِنْ تَحقيقِ أستاذِ الأدبِ الأندلسيّ في جَامِعةِ دِمَشقَ مُحَمَّدَ رُضوانِ الدّايةِ، وطِباعَةِ مُؤسَّسةِ الرِّسالةِ، بِبَيرُوتِ سَنَةِ ١٩٧٩م، وَهُوَ دِيوانٌ غَيْرُ مَشْرُوحٍ، يَقعُ في ٢٨٧ صَفحةً. قامَ المُحقِّقُ بِجَمعِ قِصائِدِهِ مِنْ كِتابِ العِقدِ، وَمِنَ المَصادِرِ الأندلسيَّةِ وبِخاصَّةِ كُتُبِ التَّاريخِ والتَّراجمِ.

لِلديوانِ تَحقيقٌ آخَرُ لِلدُّكتورِ أَحمدَ مُحَمَّدَ التَّوخيّ، وطِباعَةُ دارِ الكِتابِ العَرَبِيّ، بِبَيرُوتِ أيضاً، سَنَةِ ١٩٩٤م، يَقعُ في ٢٦٤ صَفحةً، وَهُوَ كَسابِقُهُ غَيرُ مَشْرُوحٍ.

يَشتمِلُ الديوانُ على مُعظَمِ أغراضِ الشُّعْرِ المَعروفةِ وُخصوصاً المَدِيحِ الذي كانَ مِنْ أغراضِ الشّاعِرِ الرِّئاسيَّةِ، وَتَوَجَّهَ بِهِ إلى خُلَفاءِ وَوَلّاءِ وَأَمراءِ وَقادَةِ وَوزراءِ وَقُفَهاءِ الدَّولةِ الأُمويَّةِ في الأندلسِ، وَيُلاحَظُ أَنَّ مَدائِحَهُ وإن كانَ يُقصدُ بِها التَّكسُّبُ وَنيلُ الأَعْطِياتِ، وَلَكِنَّها في الوَقْتِ ذاتِهِ تَعكسُ وَلائَهُ لِلِمروانيّينَ وَاعتقادَهُ بِأَحقيَّةِ خِلافَتِهِم، تَظهُرُ فيها قُوَّةُ المَعانِي، تَبَعُثُها عَاطِفَةٌ صادِقَةٌ في كَثِيرٍ مِنَ الأحيانِ. يَقولُ مادِحاً القَائِدَ أبا العباسِ:

اللَّهُ جَرَدَ لِلنَّدَى والـباسِ سَـيَفاً فَقَلَدَهُ أبا العَبَّاسِ

مَلِكٌ إِذا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبَضَ الرِّجاءُ إِلَيْكَ رُوحَ الياسِ

وَجَهٌ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ^{٢١}

الرثاء أيضاً يحتلُّ مساحةً مُميّزةً في الديوان، وقد كانَ لاحقاً بالمديح في بعضِ القصائد، مُستقلاً بنفسه في قصائدٍ أخرى، كالقصائد التي رثى به ولديه اللذين ماتا في حياته، والتي تُتلمسُ فيها صدقُ العاطفة، وقُوَّةُ المعاني، ومثانةُ البناءِ والسبك.

يقول في ابنه الذي غيَّبه الموتُ:

وَكَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٍّ لِمَيِّتٍ أَسْفَا أَعْذُرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَثًا دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي^{٢٢}

شعرُ الغزلِ نال حظاً وافراً من الديوان، وقد ميَّزَ الذين تحدَّثوا عن ابن عبد ربِّه، بينَ فترتين من حياته: الأولى: هي فترة الشباب. وفيها نجدُ شعرَ غزلٍ كثيرٍ تراوحَ بينَ النَّسِيبِ والتَّشْبِيهِ، ويُلَمَحُ في هذا الشعرِ تكلُّفٌ، نتجَ عن محاولةِ الشاعرِ تحدِّيَ بعضِ شعراءِ المشرقِ ومحاولةَ تقليدِهم، فاستعملَ بعضُ أنواعِ البديعِ على طريقةِ أبي تمامٍ ومُسلم بن الوليد، كما استعارَ بعضُ المعاني المألوفةَ عن هذينِ الشَّاعرينِ وغيرهما. أمَّا في غزله الذي تجاوزَ فيه موضوعَ المعارضةِ فنرى تفوقَهُ بالوصفِ والخيالِ من حيثِ سُهولةِ اللفظِ، واللينِ والعُدوبة، وعدمِ تحميله إياه أكثرَ ما يُطيق من المعاني^{٢٣}. ومن خيرِ ما له في الغزلِ قوله:

الْجِسْمُ فِي بَلَدٍ وَالرُّوحُ فِي بَلَدٍ يَا وَحْشَةَ الرُّوحِ بَلْ يَا غُرْبَةَ الْجَسَدِ

^{٢١} الديوان، (٩٣).

^{٢٢} الديوان (٦١).

^{٢٣} يُنظر إلى كتابِ ابن عبد ربِّه وعقده، جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣، (١٣٦-١٤٣).

إِنْ تَبَكَ عَيْنَاكَ لِي يَا مَنْ كَلِفْتُ بِهِ مِنْ رَحْمَةٍ فَهُمَا سَهْمَانِ فِي كَيْدِي^{٢٤}

أما فترة الشيخوخة فقد مَالَ فِيهَا إِلَى الزُّهْدِ، فَأُنْتَجَبَتْ قَصَائِدُ سُمِّيَتْ بِالْمُحَصَّاتِ. وَهِيَ قَصَائِدُ قَالَهَا فِي الْوَعْظِ وَدَمَّ الدُّنْيَا، وَنَقَضَ بِهَا كُلَّ قَصِيدَةٍ غَزَلَ قَالَهَا فِي شَبَابِهِ مَعَ بَنَائِهَا عَلَى نَفْسِ قَافِيَةِ الْقَصِيدَةِ الْأَصْلِيَّةِ فَجَاءَتْ مُتَكَلِّفَةً فِي مُعْظَمِهَا. وَلَشَوْقِي ضَيْفٍ رَأَيْ فِي مُحَصَّاتِهِ يَقُولُ فِيهِ: «كَأَنَّمَا عَدَّ شِعْرُهُ فِي شَبَابِهِ ذُنُوبًا وَأَنَّمَا وَهُوَ إِنَّمَا كَانَ فِي رَأْيِنَا مُحَاكَاةً لِلشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ لَا اقْتِرَافًا حَقِيقِيًّا لِلآثَامِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُهَيِّئًا لِذَلِكَ بِحُكْمِ رُوحِهِ الْمُحَافِظَةِ»^{٢٥}.

وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كُلُّ شِعْرِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الزُّهْدِ مُتَكَلِّفًا، بَلْ كَانَ مِنْهُ مَا يُمَثِّلُ عَاطِفَةً رَجُلٍ تَائِبٍ نَادِمٍ. وَمِنْ أَشْهَرِ مَا قَالَهُ فِي الزُّهْدِ وَدَمَّ الدُّنْيَا قَوْلُهُ:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ أُيْكَةُ إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمَعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ^{٢٦}

خَمَرِيَّاتُ الشَّاعِرِ كَثِيرَةٌ أَيْضًا تَتَوَرَّعُ فِي كُلِّ الدِّيَوَانِ، يَصِفُ فِيهَا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْخَمْرَةَ وَكُؤُوسَهَا، وَالسَّاقِي، وَمَجَالَسَ الشُّرْبِ. يَقُولُ فِي ذَلِكَ:

بَلْ رَبِّ مُذْهَبِ الْمَزَاجِ وَمُذْهَبِ رَاحَا بِرَاحَةٍ رِيْمِهِ وَغَزَالِهِ

^{٢٤} الديوان، (٥٢).

^{٢٥} تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، (١٨٨/٨).

^{٢٦} الديوان، (٢١-٢٢).

وَكأنَّ كَفَّ مُدِيرِهَا وَمُدِيرِهِ فَلَكْ يَدُورُ بِشَمْسِهِ وَهَلَالِهِ^{٢٧}

الهِجَاءُ فِي الدِّيوانِ قَلِيلٌ تَظْهَرُ فِيهِ رُوحُ الدُّعَابَةِ أَثناءَ إِظْهَارِهِ لِنَقِيصَةِ الْخَصَمِ، وَيَمِيلُ أَكْثَرُ إِلَى النُّعْضِ لِلْغَيْرِ بِالنَّدِّ الَّذِي يَكُونُ لاذِعاً أحياناً. وَمِنْ مُسَاجَلَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ مَعَ الشَّاعِرِ الْقَلْفَاطِ (ت: ٣٠٢ هـ) قَوْلُهُ:

إِنْ كُنْتَ فِي فُعدُدِ أبنائِهِ فَقَدْ سَقَى أَمَّكَ مِنْ مائِهِ^{٢٨}

وَأخيراً فَإِنَّ لِمَغْزِ الْوَصْفِ نَصِيبٌ وَأَفْزَ فِي الدِّيوانِ، فَقَدْ وَصَفَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ انْبِلَاجَ الصُّبْحِ، كَمَا وَصَفَ الرِّياضَ وَالْبساتينَ، وَالزُّمَحَ وَالسَّيْفَ، وَالْقَلَمَ، وَالْبَحَرَ وَالسَّقِينَةَ، وآلَةَ الْعُودِ، وَالْخَيْلَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمَكِّنُ وَصْفُهَا. يَقُولُ جَبْرَائِيلُ جَبَّورٌ فِي جُزْئِيَّةٍ وَصَفِ الطَّبِيعَةِ: «وَهُوَ فِي هَذَا الْوَصْفِ - شَأْنُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ - مُتَّفَقٌ عَلَى الْكَثِيرِينَ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ، وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمَنَاطِرَ الْمُبْهَجَةَ الْمُخْتَلِفَةَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ قَدْ كَانَتْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي نُفُوسِ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ، فَرَدَّدُوا ذِكْرَ جَمَالِهَا، وَوَصَفُوا بِهَيْجٍ مَنَظَرَهَا بِلَفْظٍ أُنِيقٍ وَمَعْنَى رَقيقٍ»^{٢٩}. مِنْ نَظْمِهِ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ:

وَرَوْضَةٍ عَقَدَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِهَا نَوْرًا يَنْوَرُ وَتَرْوِجاً بَتَرْوِجِ
بِمُلْقَحٍ مِنْ سَوارِيهَا وَمُلْحَقَةٍ وَنَاتِجٍ مِنْ غَوادِيهَا وَمَنْتُوجِ
تَوْشَحَتْ بِمِلَاحَةٍ غَيْرِ مُلْحَمَةٍ مِنْ نَوْرِهَا وَرِداً غَيْرِ مَنْسُوجِ
فَأَلْبَسَتْ حُلَّ الْمَوْشِيِّ زَهْرَتِهَا وَجَلَّلَتْهَا بِأَنْمَاطِ الدِّيَابِيجِ^{٣٠}

^{٢٧} الدِّيوان، (١٤٢).

^{٢٨} الدِّيوان، (١٩).

^{٢٩} ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَعَفْدُهُ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (١٠).

^{٣٠} الدِّيوان، (٣٧).

الباقِي مِنَ الدِّيوانِ اشْتَمَلَ عَلَى مَوْضُوعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْهَا: الْحَدِيثُ عَنْ آدَابِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَدَمُّ الدُّنْيَا وَذِكْرُ الْمَوْتِ، وَفَسَادُ الْإِخْوَانِ، وَالصَّبْرُ وَالْإِقْدَامُ فِي الْحَرْبِ، وَالشَّيْبُ.

بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ قَصَائِدِ الدِّيوانِ الَّتِي رُتِبَتْ قَوافِيهَا تَرْتِيباً هِجَائِيّاً، تَبَدَّأَ الْأَرْجُوزَةُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي وَثَّقَتْ مَغَازِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ لِذَيْنِ اللَّهِ، وَرُتِبَتْ حَسَبَ التَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ ابْتِدَاءً مِنْ سَنَةِ ٣٠١ لِلْهِجْرَةِ، وَإِنْتِهَاءً بِسَنَةِ ٣٢٢ لِلْهِجْرَةِ. وَلَا يُعْرَفُ مَا إِذَا كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ قَدْ نَظَّمَ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، أَمْ أَنَّهُ نَظَّمَهَا سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ.

يُخْتَمُ الدِّيوانُ بِالْأَرْجُوزَةِ الْعَرُوضِيَّةِ، وَهِيَ أَرْجُوزَةُ تَعْلِيمِيَّةٍ ابْتَدَأَهَا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِالْحَدِيثِ عَنْ أُسَاسِيَّاتِ عِلْمِ الْعَرُوضِ (الْأَسْبَابُ، وَالْأَوْتَادُ، وَالْفَوَاصِلُ)، ثُمَّ انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ عَنْ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَى التَّفْعِيلَةِ وَالْمُسَمَّاةِ الزَحَافَاتِ، لِيَنْتَقِلَ مِنْهَا لِلْحَدِيثِ عَنْ الْعِلَلِ الَّتِي تُصِيبُ التَّفَاعِيلَ (الْحَرَمُ، وَالتَّعَاثُبُ، وَالتَّرَاثُبُ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْأَجْزَاءِ، وَتُقْصَانُ الْأَجْزَاءِ)، وَيَخْتَمُ الْأَرْجُوزَةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ الدَّوَائِرِ الْعَرُوضِيَّةِ الْخَمْسَةِ.

المبحث الأول: علم البديع

المطلب الأول: تعريف علم البديع

1. البديع في اللغة:

يَقُولُ صَاحِبُ "الْعَيْنِ" فِي بَابِ الْعَيْنِ وَالذَّالِ وَالْبَاءِ: الْبَدْعُ: إِحْدَاثُ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ قَبْلُ خَلْقٌ وَلَا ذِكْرٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ. وَاللَّهُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ابْتَدَعَهُمَا، وَلَمْ يَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئاً يَتَوَهَّمُهُمَا مَتَوَهَّمٌ، وَبَدَعَ الْخَلْقَ. وَالْبَدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ.^{٣١}

وَوَرَدَ فِي مُعْجَمِ مَقَابِيسِ اللُّغَةِ فِي مَادَّةِ (بَدَعَ): الْبَاءُ وَالذَّالُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا ابْتِدَاءُ الشَّيْءِ وَصُنْعُهُ لَا عَنْ مِثَالٍ، وَالْآخَرُ الْإِنْقِطَاعُ وَالْكَالُ.^{٣٢}

وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي فَصْلِ (الْبَاءِ): الْبَدِيعُ: الْمُبْتَدِعُ وَالْمُبْتَدَعُ. وَشَيْءٌ بَدِعٌ، بِالْكَسْرِ، أَيُّ مُبْتَدَعٌ. وَأَبْدَعَ الشَّاعِرُ: جَاءَ بِالْبَدِيعِ.^{٣٣}

وَوَرَدَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: الْبَدِيعُ: الْمُبْتَدِعُ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، لِإِبْدَاعِهِ الْأَشْيَاءَ وَإِحْدَاثِهِ إِيَّاهَا، وَهُوَ الْبَدِيعُ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْبَدِيعُ أَيْضًا: الْمُبْتَدَعُ. يُقَالُ: جِئْتُ بِأَمْرِ بَدِيعٍ، أَيُّ مُحَدَّثٍ عَجِيبٍ، لَمْ يُعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ.^{٣٤}

^{٣١} الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٥٥/٢).

^{٣٢} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، (٢٠٩/١).

^{٣٣} ابن منظور، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، (٧/٨).

^{٣٤} مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق مجموعة من المتخصصين، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م، (٣٠٨/٢٠).

2. البديع في الاصطلاح:

عَرَفَ ابن خلدون^{٣٥} (ت: ٨٠٨ هـ) عِلْمَ الْبَدِيعِ فَقَالَ: هُوَ النَّظَرُ فِي تَرْيِيزِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ: إِمَّا بِسَجْعٍ يَفْصِلُهُ، أَوْ تَجْنِيسٍ يُشَابِهُهُ بَيْنَ الْفَافِظِ، أَوْ تَرْصِيعٍ يَقَطَعُ أَوْرَاقَهُ، أَوْ تَوْرِيَةِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهِامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ، لِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا، أَوْ طِبَاقٍ بِالتَّقَابِلِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.^{٣٦}

وَعَرَفَهُ الْجُرْجَانِيُّ^{٣٧} (ت: ٨٣٨ هـ) بِقَوْلِهِ: عِلْمُ الْبَدِيعِ: هُوَ عِلْمٌ يُعَرَفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَرِعَايَةِ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ، أَيْ الْخُلُوعِ عَنِ التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ.

وَجَاءَ فِي مُعْجَمِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ: (الْبَدِيعُ): تَرْيِيزُ الْأَفْظَافِ أَوْ الْمَعَانِي بِالْوَلَانِ بِدِيعِيَّةٍ مِنَ الْجَمَالِ اللَّفْظِيِّ أَوْ الْمَعْنَوِيِّ، وَيُسَمَّى: الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِطُرُقِ التَّرْيِيزِ.^{٣٨}

فَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ وَالْإِصْطِلَاحِيَّةِ وَاضِحَةٌ؛ فَإِنَّ مَنْ زَيَّنَ كَلَامَهُ بِهَذِهِ الْمُحَسِّنَاتِ، فَقَدْ أَتَى بِكَلَامٍ مُبْدَعٍ.

^{٣٥} عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي الباحثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، أنظر إلى الأعلام (٣٣٠/٣).

^{٣٦} ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، (١/٧٦١).

^{٣٧} محمد بن علي بن محمد بن علي، نور الدين ابن الشريف الجرجاني: فاضل، من أهل شيراز. أنظر إلى الأعلام (٢٨٨/٦).

^{٣٨} مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، (٤٨).

المطلب الثاني: نشأة علم البديع وتطوره:

لَعَلَّ أَوَّلَ مُحَاوَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ جَادَّةٍ فِي مِيزَانِ عِلْمِ الْبَدِيعِ، هِيَ تِلْكَ الْمَحَاوَلَةُ الَّتِي قَامَ بِهَا الْأَدِيبُ وَالْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ^{٣٩} (ت: ٢٩٦ هـ)، فَالْمُنْتَصَفُ لِكِتَابِهِ "عِلْمُ الْبَدِيعِ" يَجِدُ أَنَّهُ يَشْمَلُ عَلَى خَمْسَةِ أَبْوَابٍ، تَحَدَّثَ فِيهَا ابْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ أَصُولِ الْبَدِيعِ الْكُبْرَى مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِهِ وَهِيَ: الْاسْتِعَارَةُ، الْجِنَاسُ، الْمِطَابَقَةُ، رَدُّ أَعْجَازِ الْكَلَامِ عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا، وَالْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ.

قدامة بن الجعفر^{٤٠} (ت: ٣٣٧ هـ) تَلَقَّفَ مُحَاوَلَةَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ وَأَضَافَ إِلَيْهَا، وَالْمُحَسَّنَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا قُدَامَةُ فِي كِتَابِهِ "تَقْدُ الشَّعْرِ" بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَوْعاً، رَتَّبَهَا عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي: التَّرْصِيع، الْغُلُوفُ، حُسْنُ التَّقْسِيمِ، صِحَّةُ الْمُقَابَلَاتِ، صِحَّةُ التَّفْسِيرِ، التَّنْمِيمِ، الْمُبَالَغَةِ، الْإِشَارَةِ، الْإِرْدَافِ، التَّمْثِيلِ، التَّكَافُوفِ، التَّوْشِيحِ، الْإِبْغَالِ وَالْإِلْتِفَاتِ.

شَهِدَ الْقَرْنُ الرَّابِعَ الْهَجْرِيَّ ظُهُورَ الْعَالَمِ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ^٤ (ت: ٣٩٥ هـ)، الَّذِي عَاشَ قُدَامَةَ وَثُوقِي بَعْدَهُ بِنِصْفِ قَرْنٍ، وَقَدْ خَصَّصَ الْبَابَ النَّاسِعَ مِنْ كِتَابِهِ "الصَّنَاعَتَيْنِ" لِلْحَدِيثِ عَنِ أَلْوَانِ الْبَدِيعِ الَّتِي وَصَلَتْ عِنْدَهُ إِلَى خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا، وَقَدْ اهْتَدَى أَبُو هِلَالٍ بِنَفْسِهِ إِلَى سِتَّةِ أَنْوَاعٍ جَدِيدَةٍ هِيَ: التَّشْطِيرُ، الْمُحَاوَرَةُ، التَّطْرِيزُ، الْمِضَاعَفُ، الْاسْتَشْهَادُ وَالتَّلَاطُفُ.

٣٩ عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، أنظر إلى الأعلام (١١٨/٤-١١٩).

٤، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد، أنظر إلى الأعلام (١٩١/٥).

٤١ الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (جمهرة الأمثال) و (كتاب الصناعتين: النظم والنثر)، أنظر إلى الأعلام (١٩٦/٢-١٩٧).

بالإنتقال إلى القرن الخامس الهجري، نجد أن الأديب أبا علي بن رَشِيق القَيرواني^{٤٢} (ت: ٤٦٣ هـ) في كتابه "العمدة" قد تعرّض بالذكر والشرح لطائفة كبيرة من فنون البديع، وقد انفرد بتسعة أنواع، لم يرد ذكرها عند رجال البديع السابقين. وهي: التورية، التريديد، التفرّيع، الاستدعاء، التكرار، نفْي الشيء بإيجابه، الإطراد، الاشتراك والتغاير.

في القرن السادس الهجري نلتقي باثنين من رجال البديع، أولهما: الوطواط رشيد الدين العمري^{٤٣} (ت: ٥٧٣ هـ)، الذي ألّف في البلاغة الفارسية كتاباً سمّاه "حدايق السحر في دقائق الشعر"، حاول فيه تطبيق فنون البديع العربي على الأدب الفارسي، وقد استعان الوطواط على توضيح هذه الفنون بشواهد من أشعاره بالعربية. ثانيهما: أسامة بن المنقذ (ت: ٥٨٤ هـ) الذي ضمّن كتابه "البديع في نقد الشعر" خمسة وتسعين باباً ذكر فيها الكثير من المحسنات البديعية.

شهد القرن السابع الهجري ظهور طائفة من العلماء، الذين أولوا البديع عناية خاصة، فقد ألّف فخر الدين الرازي^{٤٤} (ت: ٦٠٦ هـ) كتاب "نهاية الإجاز في دراية الإعجاز"، وقصد منه تنظيم وتبويب كتابي: "دلائل الإعجاز" وكتاب "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، ولم يقتصر على ذلك بل لخص ببديعيات الوطواط الواردة في كتاب "حدايق السحر في دقائق الشعر".

^{٤٢} أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأدباء والبلغاء، له كتب عدة منها : كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، أنظر إلى الأعلام (١٩١/٢).

^{٤٣} محمد بن محمد بن عبد الجليل ابن عبد الملك العمري البلخي، رشيد الدين، أبو بكر الوطواط: أديب، من الكتاب المترسلين. كان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. مولده ببلخ، ووفاته بخوارزم، أنظر إلى الأعلام (٢٥/٧).

^{٤٤} محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، أنظر إلى الأعلام (٣١٣/٦).

على خطاه سار سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي^{٤٥} (ت: ٦٢٦ هـ) الذي خَصَّصَ القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" للحديث عن علم المعاني، وعلم البيان، وملحقاتهما من البلاغة والفصاحة، والمحسنات البديعية، ويحسب له أنه أول من قسّم المحسنات إلى: لفظية ومعنوية.

كَذَلِكَ كَانَ لِضِيَاءِ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ^{٤٦} (ت: ٦٣٧ هـ) بِصَمَتِهِ الْوَاضِحَةِ، فَقَدْ كَتَبَ كِتَابَهُ "الْمَثَلُ السَّائِرُ" وَقَسَّمَهُ إِلَى مُقَدِّمَةٍ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، وَالْأُولَى فِي الصِّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ، وَالثَّانِيَّةُ فِي الصِّنَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى اخْتِلَافِ الْبَلَاغِيِّينَ فِي بَعْضِ مُصْطَلَحَاتِ الْفُنُونِ الْبَدِيعِيَّةِ، بَلْ ذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَضَعُ لِلْفَنِّ الْوَاحِدِ اسْمَيْنِ؛ اعْتِقَاداً مِنْهُ أَنَّ النَّوعَ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ وَاحِدٌ.

تَوَسَّعَ زَكِي الدِّينِ بْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ الْمِصْرِيِّ^{٤٧} (ت: ٦٥٤ هـ) فِي الْمَحْسَنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ فَأَحْصَى فِي كِتَابِهِ "تَحْرِيرُ التَّحْبِيرِ" اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ مُحَسَّنًا، تَحَدَّثَ عَنْهَا الْأَقْدَمُونَ بِدَءًا مِنْ ابْنِ الْمُعْتَزِّ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ مُحَسِّنًا آخَرَ، عِشْرُونَ مِنْ زِيَادَتِهِ هُوَ، وَالْبَاقِي إِمَّا مَسْبُوقٌ إِلَيْهِ أَوْ مُتَدَاخِلٌ عَلَيْهِ.

^{٤٥} يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه "مفتاح العلوم" و "رسالة في علم المناظرة، أنظر إلى الأعلام (٢٢٢/٨).

^{٤٦} محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصلي، شرف الدين ابن الأثير: فاضل. هو ابن ضياء الدين ابن الأثير، صاحب (المثل السائر). ولد بالموصل، وصنف كتباً رأى منها ابن خلكان (مجموعاً) ألفه للملك الأشرف ابن الملك العادل ابن أيوب، ذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه. أنظر إلى الأعلام (١٢٥/٧).

^{٤٧} عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدوانى، البغدادي ثم المصري شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر. له تصانيف حسنة، منها "بديع القرآن - ط" في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و " تحرير التحبير. أنظر إلى الأعلام (٣٠/٤).

وَفِي هَذَا الْقَرْنِ أَيْضاً شَهِدْنَا ظُهُورَ "الْبَدِيعِيَّاتِ"، وَهِيَ قَصَائِدٌ نُظِمَتْ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ، فَنُظِمَ عَلَيَّ بْنَ عُثْمَانَ الْأُرْبَلِيِّ^{٤٨} (ت: ٦٧٠ هـ) قَصِيدَةً فِي الْمَدْحِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ بَيْتاً، فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، وَقَدْ وَضَعَ بِإِزَاءِ كُلِّ بَيْتٍ اسْمَ الْمُحَسَّنِ الْبَدِيعِيِّ الَّذِي تَضَمَّنَهُ.

فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّابِعِ قَامَ ابْنُ مَالِكٍ^{٤٩} (ت: ٦٨٦ هـ) فِي كِتَابِهِ "الْمِصْبَاحُ فِي عُلُومِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ" بِتَلْخِصِ كِتَابِ "مِفْتَاحِ الْعُلُومِ" لِلْسَّكَّاكِيِّ، مُحَاوِلاً أَنْ يُجَرِّدَ كِتَابَهُ مِنْ تَعْقِيدَاتِ السَّكَّاكِيِّ الْمُنْطِقِيَّةِ وَالْكَلَامِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ، وَانْفَرَدَ ابْنُ مَالِكٍ، عَنْ سَابِقِيهِ بِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُحَسَّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَعُودُ إِلَى الْإِفْهَامِ وَالتَّبْيِينِ، وَقِسْمٌ يَعُودُ إِلَى التَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ.

وَأَخيراً فَإِنَّ ابْنَ الْقَيْمِ الْجُوزِيَّةَ^{٥٠} (ت: ٧٥١ هـ)، قَدْ أَلَفَ كِتَابَ "الْفَوَائِدِ الْمُشَوِّقِ إِلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ وَعُلُومِ الْبَيَانِ" وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ تَرْدِيدٌ لِمَا اهْتَدَى إِلَيْهِ الْأَقْدَمُونَ، وَلَيْسَ لِابْنِ الْقَيْمِ فِيهِ إِلَّا فَضْلُ الْجَمْعِ.

^{٤٨} أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي الإربلي، أبو المجد: شاعر كثير المدح للخليفة المستنصر بالله العباسي، في بغداد، وتهنئته بالأعياد والمناسبات، أنظر إلى الأعلام، (٢٩٩/١).

^{٤٩} محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله، بدر الدين، نحوي: هو ابن ناظم (الألفية). من أهل دمشق مولداً ووفاء، أنظر إلى الأعلام، (٣٠/٧-٣١).

^{٥٠} محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، أنظر إلى الأعلام (٥٦/٦).

المبحث الثالث: المحسنات اللفظية البديعية

المطلب الأول: الجناس

1. الجناس في اللغة:

وَرَدَ فِي مُعْجَمِ الْعَيْنِ فِي بَابِ: الْجِيمِ وَالسَّيْنِ وَالنُّونِ، «الْجِنْسُ: كُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الشَّيْءِ وَالنَّاسِ وَالطَّيْرِ، وَحُدُودِ النَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَالْأَشْيَاءِ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَجْنَاسٍ»^{٥١}

وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ (جَنَسَ)، «الْجِنْسُ: الضَّرْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَصِفُ النَّخْلَ:

تَخَيَّرْتُهَا صَالِحَاتِ الْجُنُوسِ لَا أَسْتَمِيلُ وَلَا أَسْتَقِيلُ

وَالْجِنْسُ أَعَمُّ مِنَ النَّوعِ، وَمِنْهُ الْمُجَانَسَةُ وَالتَّجْنِيسُ. وَيُقَالُ: هَذَا يُجَانِسُ هَذَا أَيْ يُشَاكِلُهُ»^{٥٢}

وَجَاءَ فِي الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ: «الْجِنْسُ، بِالْكَسْرِ: أَعَمُّ مِنَ النَّوعِ، وَهُوَ كُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الشَّيْءِ، فَالْإِبِلُ جِنْسٌ

مِنَ الْبَهَائِمِ. ج: أَجْنَاسٌ وَجُنُوسٌ، وَبِالتَّحْرِيكِ: جُمُودُ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ. وَجَنَسَتِ الرُّطْبَةُ: نَضِجَ كُلُّهَا. وَالتَّجْنِيسُ: تَفْعِيلٌ

مِنَ الْجِنْسِ»^{٥٣}

وَفِي مَعْجَمِ مَقَابِيِسِ اللُّغَةِ: «(جِنْسٌ) الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالسَّيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ»^{٥٤}

^{٥١} مُعْجَمُ الْعَيْنِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٥٨/٦).

^{٥٢} لِسَانُ الْعَرَبِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٤٣/٣).

^{٥٣} الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، تَحْقِيقُ مَكْتَبِ تَحْقِيقِ التَّرَاثِ فِي مَوْسُةِ الرِّسَالَةِ، مَوْسُةِ الرِّسَالَةِ، بِيْرُوتِ الطَّبْعَةِ الثَّامِنَةِ، ٢٠٠٥م، (٥٧٣).

^{٥٤} مَقَابِيِسُ اللُّغَةِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٤٨٦/١).

2. الجناسُ في الإِصطِلاح:

الجناسُ: هُوَ أن يَتَقَّوَقَ اللَّفْظَانِ فِي النُّطْقِ أَوْ يَتَقَارَبَا فِيهِ، وَيَخْتَلِفَا فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَدِيعِ، بِعِبَارَاتٍ شَتَّى تُؤَدِّي مَعْنَى وَاحِدًا.

فَعَرَّفَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ بِقَوْلِهِ: «التجنيس أن تجيء الكلمة تُجانسُ أُخرى في بيت شعر أو كلام، والمُجانسةُ أن تُشَبِّهَ اللفظةُ اللفظةَ في تأليفِ حروفها على الوجه الذي أَلَفَ الْأَصْمَعِيُّ كِتَابَ الْأَجْنَاسِ عَلَيْهِ»^{٥٥}

وَعَرَّفَهُ نَعْلَبٌ^{٥٦} (ت: ٢٩١ هـ) فَقَالَ: «هُوَ تَكْرِيرُ اللَّفْظَةِ بِمَعْنِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ»^{٥٧}

وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي الْجِنَاسِ: «التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها على حسب ما أَلَفَ الْأَصْمَعِيُّ كِتَابَ الْأَجْنَاسِ. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى، كقول الشاعر:

يَوْمَ خَلَجْتَ عَلَى الْخَلِيجِ نُفُوسَهُمْ غَضِباً وَأَنْتَ بَمَثَلِهَا مُسْتَهَامُ

ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى، كقول الشاعر:

يَا صَاحِ إِنَّ أَخَاكَ الصَّبَّ مَهْمُومُ فَارْفِقْ بِهِ إِنَّ لَوَمَ الْعَاشِقِ اللُّومُ»^{٥٨}

وَعَرَّفَهُ ابْنُ رَشِيقٍ (ت: ٤٥٦ هـ)، بِإِيجَازٍ فَقَالَ: «أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى»^{٥٩}

^{٥٥} ابن المُعْتَزِّ، البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، (٢٥).

^{٥٦} أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد، أنظر إلى الأعلام (٢٦٧/١).

^{٥٧} أحمد بن يحيى (بثعلب)، قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، (٨٧).

^{٥٨} العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مصدر سابق، (٣٢١/١).

^{٥٩} المصدر السابق، (٣٢١/١).

أما ابن سنان^{٦٠} (ت: ٤٦٦ هـ)، فقد توسّع قليلاً في معرض حديثه عن الجنس فقال: «ومن التناسب بين الألفاظ المجانس: وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناهما واحداً، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفين، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى»^{٦١}

وحذا السكّاكي حذو ابن رشيقي، فأوجز قائلاً: «التجنيس، وهو تشابه الكلمتين في اللفظ».

مما سبق يبيّن أنّ المعنى الاصطلاحي للجناس قد أخذ من معاني: المشابهة والمشاركة والمماثلة، التي وردت في معنى الكلمة اللغوي، فالعلاقة وثيقة بين المعنيين وإن كان المعتاد أن يكون المعنى اللغوي أوسع وأشمل.

3. أنواع الجنس:

بعد أن حدّد أرباب البلاغة والبدیع مفهوم الجنس، شرعوا في حصر أنواعه مُعتمدين في ذلك على الشواهد العربية الفصيحة الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر، لكنّ تقسيماته -الرئيسية والفرعية- ومسمياتها اضطربت وتداخلت عند الكثير منهم، لهذا ستعتمد هذه الدراسة على التقسيم الذي ورد في كتاب "جنان الجنس في علم البديع"^{٦٢}.

1.3. الجنس التام:

هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور، هي: نوع الحروف، وعددها، وترتيبها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات. ولا عبرة بزيادة (أل) التعريف في إحدى اللفظتين؛ لأنّها في حكم الانفصال، ولا عبرة كذلك

^{٦٠} عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي: شاعر. أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. له "ديوان شعر" و "سر الفصاحة"، أنظر إلى الأعلام (١٢٢/٤).

^{٦١} ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، (١٩٢).

^{٦٢} صلاح الدين الصفدي، جنان الجنس في علم البديع، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩ هـ.

بإختلاف حركة الحرف الأخير؛ لأنها عُرِضَتْ لِلتَّغْيِيرِ تَبَعاً لِلْحَالَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ. ومن أَسْمَائِهِ أَيْضاً: الْجِنَاسُ الْكَامِلُ، وَالْجِنَاسُ الْمُسْتَوْفِي، وَالْجِنَاسُ الْمُمَازِل. وهو فِي رَأْيِ الصَّفْدِيِّ^{٦٣} يُعْتَبَرُ أَعْلَى الْأَنْوَاعِ، وَالْجِنَاسُ الثَّامُّ حَسَبَ نَوْعِ رُكْنِيهِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

1.1.3. مَا كَانَ بَيْنَ اسْمَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]

رُكْنَا الْجِنَاسِ (سَاعَةٍ) إِسْمَانِ. جَاءَ الْأَوَّلُ بِمَعْنَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَاءَ الثَّانِي بِمَعْنَى سَاعَةِ الزَّمَنِ الْمَعْرُوفَةِ.

2.1.3. مَا كَانَ بَيْنَ فِعْلَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُ شُعْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْبَسْتِيِّ (ت: ٤٠٠ هـ):

قَدَيْتُ مَنْ زَارَنِي عَلَى وَجَلٍ مِنْ الْأَعَادِي وَقَلْبُهُ يَجِبُ
فَلَوْ خَلَعْتُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَمَّا قَضَيْتُ مِنْ حَقِّهِ الَّذِي يَجِبُ^{٦٤}

رُكْنَا الْجِنَاسِ (يَجِبُ) فِعْلَانِ. جَاءَ الْأَوَّلُ بِمَعْنَى خَافَ وَاضْطَرَبَ، وَجَاءَ الثَّانِي بِمَعْنَى لَزِمَ.

3.1.3. مَا كَانَ بَيْنَ اسْمٍ وَفِعْلٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ^{٦٥} (ت: ٢٣١ هـ):

مَا مَاتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^{٦٦}

فَرَكْنُ الْجِنَاسِ الْأَوَّلِ (يَحْيَا) مُضَارِعُ الْفِعْلِ (يَحْيَى)، وَرُكْنُ الْجِنَاسِ الثَّانِي (يَحْيَى) اسْمٌ عَلَمٌ.

^{٦٣} خليل بن أبيبك الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ. ولد في صفد وتعلم في دمشق، ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فنُفِيَ فيها، أنْظَرُ إِلَى الْأَعْلَامِ (٢/٣١٥-٣١٦).

^{٦٤} يَتِيمَةُ الدَّهْرِ، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ، (٤/٣٨٥).

^{٦٥} جبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها، أنْظَرُ إِلَى الْأَعْلَامِ، (٢/٦٥).

^{٦٦} ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، الطبعة الزايدة، دار المعارف، القاهرة، (٣/٣٤٧).

4.1.3. مَا كَانَ بَيْنَ اسْمٍ وَحَرْفٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَلَوْ أَنَّ وَصْلاً عَلَّوْهُ بِقَرْبِهِ لَمَا أَنَّ مِنْ حَمْلِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى^{٦٧}

فَرَكُنُ الْجِنَاسِ الْأَوَّلِ (أَنَّ) حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ، وَرَكُنُ الْجِنَاسِ الثَّانِي فِعْلٌ مَاضٍ مُضَارِعُهُ (يَأْنُ) بِمَعْنَى تَأَلَّمَ.

2.3. الْجِنَاسُ الْمُغَايِرُ:

هُوَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي هَيْئَاتِ الْحُرُوفِ فَقَطْ (حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا). وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضاً: الْجِنَاسُ النَّاقِصُ، وَجِنَاسُ التَّحْرِيفِ، وَالْجِنَاسُ الْمُخْتَلِفُ. وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ:

هُنَّ الْحَمَامُ، فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِثُهُنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ^{٦٨}

فَرَكُنُ الْجِنَاسِ الْأَوَّلِ (حَمَامٌ) هُوَ طَائِرُ الْحَمَامِ، وَرَكُنُ الْجِنَاسِ الثَّانِي (حِمَامٌ) هُوَ الْمَوْتُ، وَالِاخْتِلَافُ فِي اللَّفْظَيْنِ وَقَعَ فِي حَرَكَةِ (الْحَاءِ) فَجَاءَتْ الْأُولَى مَفْتُوحَةً وَالثَّانِيَّةُ مَكْسُورَةً.

وَهُنَا يَجِبُ الْإِنْتِبَاهُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

-الأول: أَنَّهُ لَا عِبْرَةَ بِالشَّدَّةِ، لِأَنَّ الْحَرْفَ الْمُشَدَّدَ فِي حُكْمِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ فِي هَذَا الْبَابِ. وَقَدْ مَثَّلَ السَّكَاكِي (ت):

٦٢٦هـ) لِلْجِنَاسِ الْمُغَايِرِ بِقَوْلِهِ: "الْجَاهِلُ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفَرِّطٌ".

-الثاني: أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْفِعْلَانِ مِنْ بَابِ (فَعَلَ) وَ(فَعَّلَ)، فَلَا جِنَاسَ مُغَايِرٍ، لِأَنَّ (فَعَّلَ) مُبَالِغَةٌ فِي (فَعَلَ)، كَقَوْلِكَ: قَتَلَ وَقَتَّلَ، وَضَرَبَ وَضَرَّبَ.

^{٦٧} عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (٢٠١).
^{٦٨} ديوان أبي تمام، مصدر السابق (١٥٢/٣).

3.3. الجناس المُرَكَّبُ:

هُوَ مَا كَانَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ أَوْ كِلَاهُمَا مُرَكَّبًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، دُونَ اخْتِلَافٍ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدَدِهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ. وَقَدْ عَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْجِنَاسِ التَّامِّ، وَعَدَّهُ الصَّفَدِيُّ قِسْمًا مُسْتَقِلًّا. وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

1.3.3. مَا تَرَكَّبَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَالْآخَرُ مِنْ كَلِمَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ شُعْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْبَسْتِيِّ (ت ١٩٠ هـ):

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هَيْبَةٍ فَدَعَهُ فَدَوَّلَتْهُ ذَاهِبَةٌ^{٦٩}

فَرَكْنُ الْجِنَاسِ الْأَوَّلِ (ذَا هَيْبَةٍ) مُرَكَّبٌ مِنَ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ (ذَا) بِمَعْنَى صَاحِبٍ وَ (هَيْبَةٍ) بِمَعْنَى الْعَطِيَّةِ، وَرَكْنُ الْجِنَاسِ الثَّانِي (ذَا هَيْبَةٍ) هُوَ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنَ الْفِعْلِ (ذَهَبَ).

2.3.3. مَا تَرَكَّبَ كِلَا رُكْنَيْهِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَكَمْ لِحِبَاهِ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالٍ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ^{٧٠}

فَرَكْنُ الْجِنَاسِ الْأَوَّلِ (مَجَالٍ سُجُودٍ)، مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَةِ (مَجَالٍ) وَهِيَ اسْمٌ مَكَانٍ مِنَ الْفِعْلِ (جَالَ)، وَكَلِمَةِ (سُجُودٍ) وَهِيَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (سَجَدَ). وَرَكْنُ الْجِنَاسِ الثَّانِي (مَجَالِسِ جُودٍ)، مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَةِ (مَجَالِسِ) وَهِيَ اسْمٌ مَكَانٍ مِنَ الْفِعْلِ (جَلَسَ)، وَكَلِمَةِ (جُودٍ) وَهِيَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (جَادَ).

^{٦٩} يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٣٧٢/٤).

^{٧٠} يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (١٩٣/٦).

4.3. الجنس المزدوج:

هُوَ أَنْ يَقَعَ تَجَانُّسُ اللَّفْظَيْنِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، مَعَ الْإِخْتِلَافِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ. وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضاً: الْجِنَاسُ النَّاقِصُ، وَالْجِنَاسُ الزَّائِدُ، وَالْجِنَاسُ الْمُذِلُّ. وَلَا عِبْرَةَ بِالتَّشْدِيدِ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا كَانَ الْحَالُ فِي الْجِنَاسِ الْمُغَايِرِ. وَالْجِنَاسُ الْمُزْدَوِجُ بِحَسَبِ مَكَانِ الزِّيَادَةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

1.4.3. زِيَادَةُ حَرْفٍ فِي بَدَايَةِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَجَانِسَيْنِ، وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْتَقَمَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَى رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ السَّاقُ ۖ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]

الشَّاهِدُ (سَاقٌ وَمَسَاقٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى آخِرِ يَوْمٍ مِنَ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الْمَرْجِعِ. تَسَاوَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتِ الثَّانِيَةُ عَنِ الْأُولَى بِحَرْفِ (الْمِيمِ) فِي الْبَدَايَةِ.

2.4.3. زِيَادَةُ حَرْفٍ فِي وَسْطِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَجَانِسَيْنِ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ يَزِيدَ قَيْسِ بْنِ سَاعِدَةَ الْحَارِثِيِّ:

كَفَانَا إِلَيْكُمْ حَدَّنَا وَحَدِيدُنَا وَكَفَّ مَتَى تَطْلُبُ الْوَتَرَ تَنْقُمُ^{٧١}

الشَّاهِدُ (حَدٌ وَحَدِيدٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى بَأْسِ الرَّجُلِ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى أَدَوَاتِ الْمَعْرَكَةِ. تَسَاوَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتِ الثَّانِيَةُ عَنِ الْأُولَى بِحَرْفِ (الْيَاءِ) فِي وَسْطِهَا.

^{٧١} حَمَاسَةُ الْبُحْتَرِيِّ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمَ حُورٍ وَأَحْمَدَ مُحَمَّدَ عَبِيدٍ، هَيْئَةُ أَبُو ظَبْيٍ لِلتَّقَافَةِ، أَبُو ظَبْيٍ، ٢٠٠٧م، (٣٤٨).

3.4.3. زيادة حرف أو حرفين في آخر اللفظين المتجانسين.

- فمن الاختلاف بحرف، قول الشاعر ابن المشرف المارديني:

هَلالٌ فِي بُرُوجِ السَّعدِ سارَ غَزالٌ فِي مُرُوجِ العِزِّ سارح^{٧٢}

الشاهد (سار وسارح). الأول فعل ماضٍ مضارعُه (يسيرُ)، والثاني اسمُ فاعِلٍ مِنَ الفعلِ (سرحَ) بِمعنى: السَّائرُ فِي الصَّباحِ. تَساوَتِ الكَلِمَتانِ فِي نَوعِ الحُرُوفِ وَتَرتِيبِها وَهَيئَتِها الحاصِلَة مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَناتِ، وَزادَتِ الثَّانِيَة عَنِ الأوَّلَى بِحَرفِ (الحاء) فِي آخِرِها.

- وَمِنِ الاختِلافِ فِي حَرفَينِ، قولُ شاعِرِ الرِّسولِ حَسَّانِ بْنِ ثابِتٍ^{٧٣} (ت: ٥٤ هـ):

وَكَنا مَتى يَغُرُّ النَّبِيُّ قَبيلَةً نَصِلَ جَانِبِيهِ بِالْقَناءِ وَالْقَنابِلِ^{٧٤}

الشاهد (قنا وقنابل). الأول جمعُ مُفردَه (قناة) بِمعنى: الرُّمَحِ، والثَّانِي بِمعنى: الطَّائِفَة مِنَ النَّاسِ وَالخَيْلِ. تَساوَتِ الكَلِمَتانِ فِي نَوعِ الحُرُوفِ وَتَرتِيبِها وَهَيئَتِها الحاصِلَة مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَناتِ، وَزادَتِ الثَّانِيَة عَنِ الأوَّلَى بِحَرفِ (الباءِ وَاللامِ) فِي آخِرِها.

5.3. جناس المطمع:

هُوَ أَنْ تَتَجانَسَ كَلِمَتانِ لَا تَفاوتَ بَينَهُما إِلَّا بِحَرفٍ واحِدٍ مِنَ الحُرُوفِ المُتَّحِدَةِ فِي المَخَرَجِ أَوِ المُتقارِبَةِ فِيهِ، مِنْ غَيرِ زيادَةٍ فِي العَدَدِ. وَمِنَ أَسمائِهِ أيضاً: الجِناسُ المُضارِعُ، وَالجِناسُ المُطَرَّفُ. وَجِناسُ المَطْمَعِ بِحَسَبِ مَكَانِ مُخالَفَةِ الحَرفِ ثَلاتَةَ أَقسامٍ:

^{٧٢} ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، (١/١٣٦).

^{٧٣} حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام

^{٧٤} ديوان حسان بن ثابت، شرح عبدأ مهنا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٤م، (١٨٧).

1.5.3. أن تكون مخالفةً أحدَ الرُّكْنَيْنِ لِلاَخِرِ بِحَرْفٍ مُتَقَدِّمٍ. وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ سَاعِدَةَ^{٧٥} (ت: ٣٢ ق.م) : «مَنْ مَاتَ فَاتَ».

الشَّاهِدُ (مَاتَ وَفَاتَ). انْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَتَا بِالْحَرْفِ الْأَوَّلِ: (الْمِيمِ) وَ (الْفَاءِ) وَهُمَا مُتَّحِدَانِ فِي الْمَخْرَجِ.

2.5.3. أن تكون مخالفةً أحدَ الرُّكْنَيْنِ لِلاَخِرِ بِحَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ. وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۖ وَإِنَّهُ﴾^{٧٦} لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ [العاديات: ٧-٨]

الشَّاهِدُ (شَهِيدٌ وَشَدِيدٌ). انْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَتَا بِحَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ: (الْيَاءِ) وَ (الْمِيمِ) وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَخْرَجِ.

3.5.3. أن تكون مخالفةً أحدَ الرُّكْنَيْنِ لِلاَخِرِ بِحَرْفٍ مُتَأَخِّرٍ. وَشَاهِدُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْخِيلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^{٧٦}

الشَّاهِدُ (الْخِيلُ وَالْخَيْرُ). انْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَتَا بِحَرْفٍ مُتَأَخِّرٍ: (اللام) وَ (الرَّاءِ) وَهُمَا مُتَّحِدَانِ فِي الْمَخْرَجِ.

6.3. الْجِنَاسُ الْخَطِّيُّ:

هُوَ مَا اتَّفَقَ فِيهِ رُكْنَا الْجِنَاسِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَاخْتَلَفَا فِي النِّقْطِ فَقَطُّ. وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضاً جِنَاسُ التَّصْحِيفِ، وَجِنَاسُ الْخَطِّ، وَالْجِنَاسُ الْمَرْسُومُ، وَقَدْ يَكُونُ الْاِخْتِلَافُ بِنُقْطَةٍ أَوْ بِبَعْضِ النِّقَاطِ أَوْ بِكُلِّ نِقَاطٍ.

^{٧٥} قيس بن ساعدة بن عدي بن مالك، من بني إباد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، أنظر إلى الأعلام (١٩٦/٥).

^{٧٦} البخاري صحيحه، الطبعة الأولى، بيروت، باب الخيل، الحديث: ٣٦٤٥.

- فَمِنَ الْإِخْتِلَافِ بِنُقْطَةِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ، قَوْلُهُمْ: الْحَمْرُ مِصْبَاحُ السُّرُورِ، لَكِنَّهَا مِفْتَاحُ السُّرُورِ.^{٧٧}

الشَّاهِدُ (سُرُورٌ وَشُرُورٌ). اتَّفَقَ رُكْنَا الْجِنَاسِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَإِخْتَلَفَا فِي نَقْطِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ.

- وَمِنَ الْإِخْتِلَافِ بِنُقْطَةِ فِي وَسْطِ الْكَلِمَةِ، قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ^{٧٨} (ت: ٢٨٤ هـ):

وَلَمْ يَكُنِ الْمَغْتَرُّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى لِيَعْجَزَ وَالْمُعْتَرُّ بِاللَّهِ طَالِبُهُ^{٧٩}

الشَّاهِدُ (الْمَغْتَرُّ وَالْمُعْتَرُّ). الْأَوَّلُ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنَ الْفِعْلِ (اغْتَرَّ) بِمَعْنَى: الْغَافِلُ، وَالثَّانِي اسْمُ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَرِّ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ، اتَّفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَإِخْتَلَفَا فِي نَقْطِ الْحَرْفِ الْأَوْسَطِ.

- وَمِنَ الْإِخْتِلَافِ بِنُقْطَةِ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، قَوْلُ الصَّفَّادِيِّ: الدُّنْيَا حَرْبٌ وَحَرْثٌ بِالصَّبْرِ تَنَالُ فِيهَا الْفَرْجُ وَالْفَرْحُ.^{٨٠}

الشَّاهِدُ الْأَوَّلُ (حَرْبٌ وَحَرْثٌ). اتَّفَقَ رُكْنَا الْجِنَاسِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَإِخْتَلَفَا فِي نَقْطِ (الْبَاءِ) وَ (النَّاءِ).

الشَّاهِدُ الثَّانِي (فَرْجٌ وَفَرْحٌ). اتَّفَقَ رُكْنَا الْجِنَاسِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَإِخْتَلَفَا فِي نَقْطِ (الْجِيمِ) وَ (الْحَاءِ).

^{٧٧} الزَّمْخَشَرِيُّ، رِيبُ الْأَبْرَارِ وَنُصُوصُ الْأَخْيَارِ، مُؤَسَّسَةُ الْأَعْلَمِي، بَيْرُوتَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ١٤١٢ هـ، (١٦/٥).

^{٧٨} الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَى الطَّائِي، أَبُو عَبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ: شَاعِرٌ كَبِيرٌ، يُقَالُ لَشَعْرِهِ "سَلْسَلُ الذَّهَبِ". وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

كَانُوا أَشْعَرَ أَبْنَاءِ عَصْرِهِمُ: الْمُتَنَبِّي، وَأَبُو تَمَامٍ، وَالْبُحْتَرِيُّ، أَنْظَرُ إِلَى الْأَعْلَامِ، (١٢١/٨).

^{٧٩} دِيَوَانُ الْبُحْتَرِيِّ، تَحْقِيقُ حَسَنِ كَامِلِ الصَّيْرِفِيِّ، دَارُ الْمَعَارِفِ، مِصْرَ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، ١٩٦٤ م، (٢١٥/١).

^{٨٠} جَنَّاتُ الْجِنَاسِ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، (٣١).

- وَمِنْ الْإِخْتِلَافِ بِبَعْضِ النَّقَاطِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ٧٩ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٠]

الشَّاهِدُ (يَسْقِينِ وَيَشْفِينِ). انْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَتَا فِي نَقْطِ (السَّيْنِ وَالشَّيْنِ) وَ(الْقَافِ وَالْقَاءِ).

- وَمِنْ الْإِخْتِلَافِ بِكُلِّ النَّقَاطِ، قَوْلُ الصَّفَدِيِّ: مَنْ حَبَسَ جَيْشَ الشَّهَوَاتِ لَمْ يَجْزَ بَحْرَ الْهُلُكَاتِ.^{٨١}

الشَّاهِدُ (حَبَسَ وَجَيْشَ). انْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَتَا فِي نَقْطِ (الْحَاءِ وَالْجِيمِ) وَ(الْبَاءِ وَالْيَاءِ) وَ(السَّيْنِ وَالشَّيْنِ)، وَلَيْسَ خَافِئاً مَا فِي كَلَامِ الصَّفَدِيِّ مِنْ تَعْقِيدٍ وَتَكْلُفٍ وَبُعْدٍ عَنِ السَّجِيَّةِ.

قَدْ يَجْتَمِعُ الْجِنَاسُ الْمُغَايِرُ وَالْجِنَاسُ الْخَطِّي، وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]

الشَّاهِدُ (يَحْسِبُونَ وَيُحْسِنُونَ). وَفِيهِ جِنَاسٌ مُغَايِرٌ لِإِخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ، وَجِنَاسٌ خَطِّي لِإِخْتِلَافِ النُّقْطِ بَيْنَ (الْبَاءِ) وَ(النُّونِ).

7.3. الْجِنَاسُ الْمُخَالَفُ:

هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ الرُّكْنَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِّهَا، وَيَخْتَلِفَا فِي تَرْتِيبِهَا. وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضاً جِنَاسُ الْقَلْبِ، وَالْجِنَاسُ الْمَقْلُوبُ، وَجِنَاسُ الْعَكْسِ، وَالْجِنَاسُ الْمَعْكُوسُ. وَلَا عِبْرَةَ بِالنَّشِيدِ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْجِنَاسِ الْمُزْدَوِّجِ وَالْمُغَايِرِ. وَالْجِنَاسُ الْمُخَالَفُ بِحَسَبِ مَكَانِ اخْتِلَافِ تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ:

^{٨١} جنان الجناس، مصدر سابق، (٣١).

1.7.3. أن يَكُونَ أَوَّلُ الْكَلِمَةِ الْأُولَى، ثَانِي الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ يَحْيَى الْحَصَكِيِّ^{٨٢} (ت: ٥٥١ هـ):

هُوَ فِي الْقُرْبِ رَحِيقٌ وَهُوَ فِي الْبُعْدِ حَرِيقٌ^{٨٣}

الشَّاهِدُ (رَحِيقٌ وَحَرِيقٌ). اِنْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدَدِهَا، وَاخْتَلَفَتَا فِي التَّرْتِيبِ، فَجَاءَتِ (الرَّاءُ) فِي بَدَايَةِ الْكَلِمَةِ الْأُولَى، وَثَانِيَةِ فِي الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ.

2.7.3. أن يَكُونَ ثَانِي الْكَلِمَةِ الْأُولَى، ثَالِثَ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي دَهْبِلِ الْجُمَحِيِّ^{٨٤} (ت: ٦٣ هـ):

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِزاً بِالْبُرْدِ كَالْبُرْدِ رَجَلَى لَيْلَةَ الظُّلَمِ^{٨٥}

الشَّاهِدُ (بُرْدٌ وَبُرْدٌ). اِنْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدَدِهَا، وَاخْتَلَفَتَا فِي التَّرْتِيبِ، فَجَاءَتِ (الرَّاءُ) ثَانِيَةً فِي الْكَلِمَةِ الْأُولَى، وَثَالِثَةً فِي الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ.

3.7.3. أن يَكُونَ ثَالِثَ الْكَلِمَةِ الْأُولَى، رَابِعَ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْبُحْثَرِيِّ:

شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ تُقَطَّعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا^{٨٦}

الشَّاهِدُ (أَرْحَامٌ وَأَرْحَامٌ). الْأُولَى جَمْعُ (رُحِمٍ)، وَالثَّانِيَةِ جَمْعُ (رَحِمٍ). اِنْتَفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدَدِهَا، وَاخْتَلَفَتَا فِي التَّرْتِيبِ، فَجَاءَتِ (الْمِيمُ) ثَالِثَةً فِي الْكَلِمَةِ الْأُولَى، رَابِعَةً فِي الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ.

^{٨٢} يحيى بن سلامة بن الحسين، الخطيب الحصكفي الطنزي: أديب، من الكتاب الشعراء. ولد بطنزة (في ديار بكر) وتأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي في بغداد، وتفقه على مذهب الشافعي. أنظر إلى الأعلام، (١٤٨/٨-١٤٩).

^{٨٣} عماد الدين الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩م، (٥٠١/٢).

^{٨٤} وهب بن زمعة بن أسد، من أشرف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش: أحد الشعراء العشاق المشهورين. من أهل مكة. أنظر إلى الأعلام، (١٢٤/٨-١٢٥).

^{٨٥} ديوان أبي دهبِلِ الجُمَحِيِّ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، (١٠٢).

^{٨٦} ديوان البُحْثَرِيِّ، مصدر سابق، (١٢٩٩/٢).

4.7.3. قَلْبُ الْكُلِّ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّيرُ^١ قُمْ فَأَنْذِرْ^٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ^٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١-٤]

الشَّاهِدُ (رَبِّكَ وَكَبِّرْ). اِتَّفَقَتِ الْكَلِمَتَانِ فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدَدِهَا، وَاخْتَلَفَتَا فِي تَرْتِيبِ جَمِيعِ حُرُوفِهَا.

4. بَلَاغَةُ الْجِنَاسِ:

إِنَّ الْجِنَاسَ فَنُّ أَصِيلٌ بِذَلِيلٍ وَرُودُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقِيَمَتُهُ وَمَكَانَتُهُ تَتَجَلَّيَانِ فِي التَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يُحْدِثُهُ، فَيَكْتَسِبُ الْكَلَامُ بِفَضْلِهِ جَرَساً مُوسِيقِيّاً، إِضَافَةً إِلَى دَوْرِهِ فِي شَدِّ انْتِبَاهِ الْمُتَلَقِّي، فَهُوَ يُوهِمُ السَّامِعَ بِأَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ مُتَمَاثِلَتَانِ فَإِنْ تَأَمَّلْتَهُمَا، وَجَدْتَ الْمَعْنَى مُخْتَلِفاً، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ دَوْرَهُ فِي رِبْطِ الْجُمْلِ وَقُوَّةِ الْمَعْنَى.

المَطْلَبُ الثَّانِي: التَّصْرِيعُ

1. التَّصْرِيعُ لُغَةً:

وَرَدَ فِي مُعْجَمِ الْعَيْنِ فِي بَابِ الْعَيْنِ وَالصَّادِ وَالرَّاءِ: «الْمِصْرَاعَانِ مِنَ الْأَبْوَابِ بَابَانِ مَنْصُوبَانِ يَنْضَمَّانِ جَمِيعاً مَدْخُلُهُمَا فِي الْوَسْطِ مِنَ الْمِصْرَاعَيْنِ. وَمِنْ الشَّعْرِ: مَا كَانَ قَافِيَتَانِ فِي بَيْتٍ. يُقَالُ: صَرَعْتُ الْبَابَ وَالشَّعْرَ تَصْرِيعاً».^{٨٧}

وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ (صَرَعَ): «صَرَعَ الْبَابَ: جَعَلَ لَهُ مِصْرَاعَيْنِ؛ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْمِصْرَاعَانِ بَابَا الْقَصِيدَةِ بِمَنْزِلَةِ الْمِصْرَاعَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا بَابَا الْبَيْتِ، قَالَ: وَاشْتِقَاقُهُمَا مِنَ الصَّرْعَيْنِ، وَهُمَا نِصْفَا النَّهَارِ، قَالَ: فَمِنْ غُدُوَّةٍ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ صَرَعٌ، وَمِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ إِلَى سُقُوطِ الْفُرْصِ».^{٨٨}

وَفِي مُعْجَمِ تَاجِ الْعُرُوسِ: «صَرَعَ الشَّعْرَ وَالْبَابَ تَصْرِيعاً: جَعَلَهُ ذَا مِصْرَاعَيْنِ».^{٨٩}

^{٨٧} مُعْجَمُ الْعَيْنِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٢٩٩/١).

^{٨٨} لِسَانُ الْعَرَبِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (١٩٩/٨).

^{٨٩} تَاجُ الْعُرُوسِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٣٣٤/٢١).

وَجَاءَ فِي مُعْجَمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ: «صَرَعَ يَصْرَعُ، تَصْرِيعًا، فَهُوَ مُصْرَعٌ، وَالْمَفْعُولُ مُصْرَعٌ.

- صَرَعَ الْبَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ: جَعَلَ شَطْرَهُ مُتَّفَقِينَ فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ.

- صَرَعَ فَلَانٌ فَلَانًا: طَرَحَهُ أَرْضًا بَعْنَفٍ.

- صَرَعَ النَّجَارُ الْبَابَ: صَرَعَهُ؛ جَعَلَهُ ذَا مِصْرَاعَيْنِ»^{٩٠}

2. التَّصْرِيعُ اصطلاحًا:

إِنَّ لِكُلِّ بَيْتٍ شِعْرِيٍّ مِصْرَاعَيْنِ، يُسَمَّى الْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا الصَّدْرُ، وَيُسَمَّى الْمِصْرَاعُ الثَّانِي الْعِجْزُ. وَالتَّصْرِيعُ خَاصٌّ بِالشَّعْرِ. وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّجْعِ بَيْنَ الْفَاصِلَتَيْنِ فِي الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ، وَهُوَ بِالتَّعْرِيفِ أَنْ يَتَّفِقَ آخِرُ جُزْءٍ مِنْ صَدْرِ الْبَيْتِ، وَآخِرُ جُزْءٍ مِنْ عِجْزِهِ فِي الْإِعْرَابِ^{٩١} وَالْوِزْنِ^{٩٢} وَالرَّوْيِ.

وَهَكَذَا فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الصَّلَةَ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ وَالْإِصْطِلَاحِيَّةِ وَثِيقَةٌ، فَالشَّاعِرُ عِنْدَمَا يُصْرَعُ بَيْتًا فَإِنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ دَفْتَيْنِ كَمِصْرَاعِي الْبَابِ.

لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْمُعْتَزِّ "التَّصْرِيعَ" ضِمْنَ الْأَلْوَانِ الْبَدِيعِيَّةِ الَّتِي عَدَّهَا، وَكَانَ قُدَامَةُ بْنُ الْجَعْفَرِ (ت: ٣٣٧ هـ) أَوَّلَ مَنْ انْفَرَدَ بِذِكْرِهِ، وَسَمَّاهُ "نَعْتِ الْقَوَافِي". يَقُولُ فِيهِ: «أَنْ تَكُونَ عَذْبَةً الْحَرْفِ سَلْسَةً الْمَخْرَجِ، وَأَنْ يُقَصَّدَ لَتَصْيِيرِ مَقْطَعِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ مِثْلَ قَافِيَّتِهَا، فَإِنَّ الْفُحُولَ الْمُجِيدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ يَتَوَخَّوْنَ ذَلِكَ، وَلَا يَكَادُونَ يَعْدِلُونَ عَنْهُ، وَرَبَّمَا صَرَعُوا أُبَيَاتًا أُخْرَ مِنَ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْ إِقْتِدَارِ الشَّاعِرِ وَسِعَةً بِحِرْهِ»^{٩٣}.

^{٩٠} أحمد مختار عبد الحميد عُمر، معجم اللغة العربية، المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، (٢/١٢٨٩).

^{٩١} حَرَكَةُ الْحَرْفِ الْأَخِيرِ.

^{٩٢} الْوِزْنُ الْعَرُوضِيُّ وَلَيْسَ الْوِزْنُ الصَّرْفِيُّ.

^{٩٣} قُدَامَةُ بْنُ الْجَعْفَرِ، نَقْدُ الشُّعْرِ، مَطْبَعَةُ الْجَوَائِبِ، الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ١٣٠٢هـ، (١٣).

ابن رَشِيقِ الْقَبْرَوَانِي فِي كِتَابِهِ "الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ"، عَقَدَ بَاباً سَمَّاهُ "بَابَ التَّقْفِيَةِ وَالتَّصْرِيعِ"،
 أَسْهَبَ فِيهِ بِالْحَدِيثِ عَنْهُ، وَأَوْضَحَ أَنَّ سَبَبَ التَّصْرِيعِ؛ هِيَ رَغْبَةُ الشَّاعِرِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ أَخَذَ بِكَلَامٍ مَنْظُومٍ غَيْرِ
 مَنْثُورٍ، وَهَذَا سَبَبُ وَقُوعِهِ فِي أَوَّلِ الشَّعْرِ، وَلَكِنَّهُ نَوَّهَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ وَقُوعَهُ فِي غَيْرِ ابْتِدَاءٍ، وَذَلِكَ إِذَا خَرَجَ
 النَّاطِمُ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ، أَوْ مِنْ وَصْفٍ شَيْءٍ إِلَى وَصْفٍ شَيْءٍ آخَرَ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ بِالتَّصْرِيعِ إِبْخَاراً بِذَلِكَ
 وَتَتَبَّيْهًا عَلَيْهِ. وَنَوَّهَ أَيْضاً إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ لَمْ تُصَرِّعْ فِي أَوَّلِ الْقَصَائِدِ، ثُمَّ تُصَرِّعُ بَعْدَ ذَلِكَ كَالْأَخْطَلِ^{٩٤}
 (ت: ٩٠ هـ)، وَذِي الرُّمَّةِ^{٩٥} (ت: ١١٧ هـ). وَبَيَّنَّ أَنَّ كَثْرَةَ اسْتِخْدَامِهِ دَلِيلٌ عَلَى التَّكَلُّفِ إِلَّا إِذَا صَدَرَ عَنْ
 الْمُتَقَدِّمِينَ. وَخَتَمَ حَدِيثَهُ بِالْحَدِيثِ عَنْ عُيُوبِ التَّصْرِيعِ؛ الْإِقْوَاءُ وَالْإِكْفَاءُ وَالْإِيطَاءُ وَالسَّنَادُ وَالتَّضْمِينُ.

أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ عَلَى أَنَّ الْإِكْثَارَ مِنَ التَّصْرِيعِ لَيْسَ مُخْتَاراً عِنْدَهُمْ، وَبَيَّنُّوا أَنَّ فَنُونَ الْبَدِيعِ الْمُخْتَلَفَةِ
 يَحْسُنُ مِنْهَا مَا قَلَّ وَجَرَى مَجْرَى اللَّمَعَةِ وَاللِّمَحَةِ، فَأَمَّا إِذَا تَوَاتَرَ وَتَكَرَّرَ فَلَيْسَ ذَلِكَ مَرْضِيّاً. ابْنُ سَنَانَ الْخَفَاجِي
 سَاقَ مِثَالاً لَطِيفاً دَلَّلَ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ قَائِلاً: «إِنَّ الْخَالَ يَحْسُنُ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ عِدَّةٌ
 خِيْلَانٌ لَكَانَ قَبِيحاً»^{٩٦}.

3. مَرَاتِبُ التَّصْرِيعِ:

ابن الأثير فِي كِتَابِهِ "الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي آدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ" وَضَحَّ أَنَّ "التَّصْرِيعَ" يَرِدُ عَلَى مَرَاتِبٍ مُخْتَلَفَةٍ
 مُتَقَاوِمَةٍ فِي الْكَمَالِ وَالنُّقْصَانِ، وَهِيَ بِحَسَبِ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ سَبْعُ مَرَاتِبٍ، جَاءَتْ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

^{٩٤} غِيَاثُ بْنُ غُوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ طَارِقَةَ ابْنِ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي تَغْلِبَ، أَبُو مَالِكٍ: شَاعِرٌ، مَصْقُولُ الْأَلْفَاظِ، حَسَنُ الدِّيَابِجَةِ، فِي شِعْرِهِ إِبْدَاعٌ. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. أنظر إلى الأعلام (١٢٣/٥).

^{٩٥} غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهْيَسِ بْنِ مَسْعُودِ الْعَدَوِيِّ، مِنْ مِزَرٍ، أَبُو الْحَارِثِ، ذُو الرِّمَّةِ: شَاعِرٌ، مِنْ فُحُولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ فِي عَصْرِهِ. وَكَانَ شَدِيدَ الْقَصْرِ، دَمِيمًا، يَضْرِبُ لَوْنَهُ إِلَى السَّوَادِ. أَكْثَرَ شِعْرُهُ تَشْبِيْبَ وَبَكَاءَ أَطْلَالٍ، يَذْهَبُ فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ الْجَاهِلِيِّينَ. أنظر إلى الأعلام (١٢٤/٥).

^{٩٦} سِرُّ الْفَصَاحَةِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (١٨٩).

المرتبة الأولى: وهو أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه، غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه، ويسمى التصريح الكامل. ومثاله قول امرئ القيس^{٩٧} (ت: ٨٠ ق.هـ):

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمْتَ هَجْرًا فَأَجْمِلِي^{٩٨}

فكل مصراع من هذا البيت مفهوم على الاستقلال من غير حاجة له إلى الآخر.

المرتبة الثانية: أن يكون المصراع الأول منقطعاً عن الثاني مستقلاً غير محتاج إلى الثاني، لكن الثاني مرتبط بالأول لعلاقة بينهما، ومثاله قول امرئ القيس:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسْفِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ^{٩٩}

فالأول منقطع عن الثاني، أما الثاني فمتصل بالأول لأجل حرف الجر.

المرتبة الثالثة: أن يكون الشاعر مخيراً في تقديم أحد المصراعين على الآخر أيهما شاء، ويسمى "التصريح الموجّه". وذلك كقول الحجاج البغدادي^{١٠٠} (ت: ٣٩١ هـ):

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ حَفَّةُ الشُّرْبِ مَعَ خُلُوءِ الْمَكَانِ^{١٠١}

وهو من حيث الجودة كاللتصريح الموجّه.

^{٩٧} امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمانى الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، أنظر إلى الأعلام، (١١/٢).

^{٩٨} ديوان امرئ القيس، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ، (٣٢).

^{٩٩} المصدر السابق، (٢١).

^{١٠٠} حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، النيلي البغدادي، أبو عبد الله: شاعر فحل، من كتاب العصر البويهّي. غلب عليه الهزل. في شعره عذوبة وسلامة من التكلف. أنظر إلى الأعلام (٢٣١/٢).

^{١٠١} يتيمة الدهر، مصدر سابق، (٧٦/٣).

المرتبة الرابعة: أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه، ولا يفهم معناه إلا بالتأني، ويسمى: التصريح الناقص، وهو ليس بمرضي ولا حسن. ومما ورد منه قول المتنبي^{١٠٢} (ت: ٣٥٤ هـ):

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان^{١٠٣}

فإن المصراع الأول لا يستقل بنفسه في فهم معناه، دون أن يذكر المصراع الثاني.

المرتبة الخامسة: أن يكون التصريح في البيت بلفظة واحدة، ويسمى "التصريح المكرر"، وهو ينقسم قسمين: الأول: أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها، وهو أنزل الدرجتين. كقول عبيد بن الأبرص^{١٠٤} (ت: ٢٥ ق.م):

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب^{١٠٥}

الثاني: أن يكون التصريح بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها. كقول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي^{١٠٦} (ت: ٢١٠ هـ):

فتى كان شرباً للعفاة ومرتعاً فأصبح للهندية البيض مرتعاً^{١٠٧}

فلفظة (مرتع) والتي تعني في الأصل: الموضع الذي ترعى فيه الماشية، قد استعملت مجازاً؛ لأن المرتي لا يمكن أن يرعى.

^{١٠٢} أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. أنظر إلى الأعلام (١/١١٥).

^{١٠٣} ديوان المتنبي، مصدر سابق، (٥٤١).

^{١٠٤} عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبعة ثانية عن المعلقات. وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر. أنظر إلى الأعلام (٤/١٨٧-١٨٨).

^{١٠٥} ديوان عبيد الأبرص، تحقيق أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، (٢٢).

^{١٠٦} حميد الطوسي: من كبار قواد المأمون العباسي. كان جباراً، فيه قوة وبطش. وكان المأمون يندبه للمهمات. أنظر إلى الأعلام (٢/٢٨٣).

^{١٠٧} ديوان أبي تمام، تحقيق محي الدين الخياط، نظارة المعارف العمومية الجلييلة، (٣٧٤).

المرتبة السادسة: أن يُذكر المِصرَعُ الأوَّلُ ويكونَ مُعلِّقاً على صِفَةٍ، يأتي ذكرها في أوَّلِ المِصرَعِ الثاني، ويُسمَّى: "التَّصْرِيعُ المُعلِّق". ومثاله قولُ امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا إِنْجَلِي بِصُبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْنٍ^{١٠٨}

فإنَّ المِصرَعِ الأوَّلَ مُعلِّقٌ على قَوْلِهِ "بِصُبحٍ"، وَهَذَا مُعِيبٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِالصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ.

المرتبة السابعة: أن يكونَ التَّصْرِيعُ فِي البَيْتِ مُخَالِفاً لِقَافِيَتِهِ، وَهُوَ عَيْبٌ مِنْ عُيُوبِ القَوَافِي سَمَاءُ قَدَامَةِ بُنِ الجَعْفَرِ "التَّجْمِيع"، وَعَرَفَهُ بِأَن تَكُونَ قَافِيَةُ المِصرَعِ الأوَّلِ مِنَ البَيْتِ عَلَى رَوِيٍّ مُتَهَيِّئٍ لِأَن تَكُونَ قَافِيَةُ آخِرِ البَيْتِ بِحَسْبِهِ، فَتَأْتِي بِخِلَافِهِ، وَهُوَ أَنْزَلَ دَرَجَاتِ التَّصْرِيعِ وَأَقْبَحَهَا. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ^{١٠٩} (ت: ١٩٨هـ):

أَقْلَنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى ذُنُوبِي وَبِالإِقْرَارِ عُدْتُ مِنَ الجُحُودِ^{١١٠}

4. بَلَاغَةُ التَّصْرِيعِ:

إِذَا كَانَ التَّصْرِيعُ فِي مُسْتَهْلٍ القَصِيدَةِ، أَمَكَنَ أَنْ تُعَرَفَ قَافِيَةُ القَصِيدَةِ وَرَوِيُّهَا قَبْلَ إِكْمَالِ البَيْتِ الأوَّلِ. وَالتَّصْرِيعُ فِي ذَاتِ الوَقْتِ يُسَهِّمُ فِي تَكْنِيفِ المَوْسِيقَى الدَّاخِلِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ، بِمَا يَخْدُمُ هَدَفَ النَّاطِمِ فِي شَدِّ انْتِبَاهِ المُسْتَمِعِ وَتَهْيِئَتِهِ لِمُتَلَقِّي خِطَابِهِ. أَمَّا التَّصْرِيعُ الَّذِي يَقَعُ فِي غَيْرِ ابْتِدَاءٍ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ شِعْرِيٍّ إِلَى آخَرَ، فَيَكُونُ تَنْبِيهاً وَإِخْبَاراً لِلْمُتَلَقِّي، بِأَنَّ الشَّاعِرَ عَلَى وَشَكِّ تَتَابُوعِ مَوْضُوعٍ مُخْتَلَفٍ. وَفِي التَّصْرِيعِ أَيْضاً دَلَالَةٌ عَلَى سِعَةِ قُدْرَةِ الشَّاعِرِ عَلَى التَّصَرُّفِ بِأَفَانِينِ الْكَلَامِ.

^{١٠٨} ديوان امرئ القيس، مصدر سابق، (٤٩).

^{١٠٩} الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. أنظر إلى الأعلام (٢/٢٢٥).

^{١١٠} ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، (٤٥٣).

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الإِقْتِبَاسُ وَالتَّضْمِينُ

1. الإِقْتِبَاسُ

1.1. الإِقْتِبَاسُ لُغَةً:

جَاءَ فِي مُعْجَمِ الْعَيْنِ فِي بَابِ الْقَافِ وَالسَّيْنِ وَالْبَاءِ: الْقَبْسُ: شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ تَقْبَسُهَا وَتَقْتَبِسُهَا أَيُّ: تَأْخُذُ مِنْ مُعْظَمِ النَّارِ. وَقَبَسْتُ النَّارَ، وَاقْتَبَسْتُ رَجُلًا نَارًا أَوْ خَيْرًا. وَقَبَسْتُ الْعِلْمَ وَاقْتَبَسْتُهُ. وَاقْبَسْتُ الْعِلْمَ فَلَانًا. وَأَبُو قُبَيْسٍ: جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى مَكَّةَ.^{١١١}

وَفِي مَقَابِيسِ اللُّغَةِ: (قَبَسَ) الْقَافُ وَالْبَاءُ وَالسَّيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النَّارِ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ.^{١١٢}

وَوَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي فَصْلِ الْقَافِ: قَبَسَ: الْقَبْسُ: النَّارُ. وَالْقَبَسُ: الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ.

وَفِي النَّهْذِيِّ: الْقَبَسُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ تَقْتَبِسُهَا مِنْ مُعْظَمٍ، وَاقْتَبَسَهَا الْأَخْذُ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: بِشِهَابٍ

قَبَسٍ: الْقَبَسُ: الْجَذْوَةُ، وَهِيَ النَّارُ الَّتِي تَأْخُذُهَا فِي طَرَفِ عُودٍ. وَاقْتَبَسْتُ مِنْهُ عِلْمًا أَيْضًا أَيُّ اسْتَفَدْتُهِ.^{١١٣}

2.1. الإِقْتِبَاسُ إِصْطِلَاحًا:

أَنْ يُضَمَّنَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ مِنْ شَعْرِ أَوْ نَثْرِ كَلَامًا لِغَيْرِهِ بِلَفْظِهِ أَوْ بِمَعْنَاهِ، وَهَذَا الإِقْتِبَاسُ يَكُونُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَوْ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ، أَوْ مِنَ الْحِكَمِ الْمَشْهُورَةِ. فَمِنْ أَمْثَلَةِ الإِقْتِبَاسِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكَاتِبِيِّ^{١١٤} (ت: ٤١٨ هـ):

^{١١١} مُعْجَمُ الْعَيْنِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٨٦/٥).

^{١١٢} مَقَابِيسُ اللُّغَةِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٤٨/٥).

^{١١٣} لِسَانُ الْعَرَبِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (١٦٧/٦).

^{١١٤} الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ: وَزِيرٌ، مِنَ الدَّهَاءِ، الْعُلَمَاءِ، الْأَدَبَاءِ، أُنْظِرْ إِلَى الْأَعْلَامِ. (٢٤٥/٢).

إِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جَرِمَ «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»

وَإِنْ تَبَدَّلَتْ بِنَا غَيْرِنَا «فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^{١١٥}

فاقتبس الشاعرُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

وَاقْتَبَسَ كَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاِقْتِبَاسِ مِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ^{١١٦} (ت: ٣٨٥ هـ):

قَالَ لِي إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فِدَارِهِ

فُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ «الْجَنِّ نَهْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ»^{١١٧}

فاقتبس الشاعرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^{١١٨}

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاِقْتِبَاسِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ، قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيبِ^{١١٩} (ت: ٧٧٦ هـ):

حَتَّى إِذَا بَرَقَتْ لِلرَّوْعِ بَارِقَةٌ أَفْبَلَنَاهَا الْبَيْضَ وَالْعَسَالََةَ الدُّبْلَا

«وَكَلَّمَا عَذَلْنَاكَ النَّفْسُ رَادِعَةً جَعَلَتْ سَيْفَكَ فِيهَا يَسْبِقُ الْعَدْلَا»^{١٢٠}

فاقتبسَ الشَّاعِرُ الْمَثَلَ الْعَرَبِيَّ الْمَشْهُورَ: "سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ".

^{١١٥} ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ، (٤٩/٧).

^{١١٦} إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني: وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. أنظر إلى الأعلام (٣١٦/١).

^{١١٧} ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة النهضة، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٦٥ م، (٢٣٠).

^{١١٨} مسلم، صحيحه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، الحديث: ٢٨٢٢، (٢١٧٤/٤).

^{١١٩} محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: وزير مؤرخ أديب نبيل. كان أسلافه يعرفون ببني الوزير. أنظر إلى الأعلام (٢٣٥/٦).

^{١٢٠} ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، مطبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، (٧٦٥/١).

وَلِلْإِقْتِبَاسِ ضَرْبَانِ:

الأول: مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُقْتَبَسُ مِنْ مَعْنَاهُ الَّذِي وُضِعَ لَهُ فِي الْأَصْلِ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ. كَقَوْلِ ابْنِ سَنَاءِ الْمُلْكِ^{١٢١}
(ت: ٦٠٨ هـ):

رَحَلُوا فَلَسْتُ مَسَائِلًا عَنْ دَارِهِمْ «أَنَا بَاخِعٌ نَفْسِي عَلَى آثَارِهِمْ»^{١٢٢}

مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. وَمَعْنَى لَفْظِ (بَاخِعٍ) الْوَارِدُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالنَّبِيتِ الشَّعْرِيِّ وَاحِدٌ هُوَ: إِهْلَاكُ النَّفْسِ.

والثاني: مَا نُقِلَ فِيهِ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ. كَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ^{١٢٣} (ت: ٢٨٣ هـ):

لَيْزُ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِي كَمَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي

لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي «بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ»^{١٢٤}

إِقْتَبَسَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. لَكِنَّ وَادِي

مَكَّةَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ لَا نَبَاتَ فِيهِ وَلَا مَاءَ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، فَنَقَلَهُ الشَّاعِرُ إِلَى مَعْنَى جَعَلَ فِيهِ الْمَمْدُوحَ الَّذِي
رَفَضَ مُكَافَأَةَ ابْنِ الرُّومِيِّ بِالْأَعْطِيَةِ لَا خَيْرَ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ.

^{١٢١} هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد شاعر، من النبلاء. مصري المولد والوفاة. كان وافر الفضل، رحب النادي، جيد الشعر، بديع الإنشاء. أنظر إلى الأعلام (٧١/٨).

^{١٢٢} ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد إبراهيم نصر وحسين محمد نصار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، (٥٨٠/٢).

^{١٢٣} علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقة بشار والمنتبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشئ ببغداد، ومات فيها مسموما.

^{١٢٤} ديوان ابن الرومي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، (٣٩٤/٣).

وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَدْ عَدُّوا الْاِقْتِبَاسَ أَصْلًا وَالتَّضْمِينَ فِرْعًا لَهُ إِلَى جَانِبِ فُرُوعِهِ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى (العَدُّ، الْحَلُّ، التَّلْمِيحُ). كَمَا أَنَّ طَائِفَةً أُخْرَى مِنَ الْعُلَمَاءِ كَابِنِ الْأَثِيرِ وَالتَّوْبَرِي^{١٢٥} (ت: ٧٣٣ هـ) قَدْ سَمَّتِ الْاِقْتِبَاسَ مِنَ الْقُرْآنِ تَضْمِينًا. فَجَمَعُوا بَيْنَ الْاِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ وَجَعَلُوهُمَا مَفْهُومًا وَاحِدًا.

3.1. حكم الاقتباس:

الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، جَوَّزَ الْاِقْتِبَاسَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي النُّثْرِ، وَقَدْ نَقَلَ هَذَا الْإِتِّفَاقَ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ^{١٢٦} (ت: ٩١١ هـ) فِي رِسَالَتِهِ - رَفَعَ الْبَأْسَ - وَحَشَّدَ لَهُ الْأَدْلَةَ، وَسَاقَ النُّصُوصَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَثَمَةِ حَتَّى عَصَرِهِ، وَقَالَ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ: «فَإِنْ قُلْتَ: نَرَى فِي هَذَا الزَّمَانِ قَوْمًا يَسْتَنْكِرُونَ ذَلِكَ - أَيِ الْاِقْتِبَاسِ - وَيَقُولُونَ: أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ لَا تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِ، قُلْتُ: إِنَّمَا اسْتَنْكَرَهُ هَؤُلَاءُ جَهْلًا مِنْهُمْ بِالنُّصُوصِ وَالْقَوْلِ، فَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ، وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَنَصُّوا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ عَلَى جَوَازِهِ».

وَمِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى جَوَازِ الْاِقْتِبَاسِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا مَرَّ بِكَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ خَيْبَرَ فَاتِحًا: "اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبْتُ خَيْبَرَ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"^{١٢٧}، فَاقْتَبَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصَّافَات: ١٧٧]

^{١٢٥} أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري: عالم بحاث غزير الاطلاع. نسبته إلى نويرة (من قرى بني سويف بمصر) ومولده ومنشأه بقوص، وكان ذكي الفطرة، حسن الشكل، فيه أريحية وود لأصحابه. وله نظم يسير ونثر جيد. أنظر إلى الأعلام (١٦٤/١-١٦٥).

^{١٢٦} عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، أنظر إلى الأعلام (٣٠١/٣).

^{١٢٧} مسلم، صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، الحديث: ١٣٦٥، (٤/٢١٧٤).

أَمَّا الْإِقْتِبَاسُ فِي الشَّعْرِ فَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ الْجَوَازُ، وَكَرِهَ ذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ^{١٢٨} (ت: ٤٠٣ هـ) وَالنَّوَوِيُّ^{١٢٩} (ت: ٦٧٦ هـ) فِيمَا رُوِيَ عَنْهُمَا، وَيَبْدُو أَنَّ كِرَاهَتَهُمَا بِاعْتِثَا الْوَرَعِ وَالتَّأَدُّبِ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، كَمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى السَّبْكِيَانِ بِهَاءِ الدِّينِ^{١٣٠} (ت: ٧٦٣ هـ) وَأَخُوهُ تَاجُ الدِّينِ^{١٣١} (ت: ٧٧١ هـ).
إِذَنْ فَلَا إِقْتِبَاسَ مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ مُبَاحٌ، وَلَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ أَوْ النَّاثِرِ أَنْ يُسَيِّءَ إِسْتِخْدَمَهُ فَيُخْرِجَهُ عَنْ سِيَاقِهِ، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْإِقْتِبَاسَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

مُسْتَحْسَنٌ: وَهُوَ كُلُّ إِقْتِبَاسٍ كَانَ الْهَدَفُ مِنْ وَرَائِهِ إِصْلَاحُ شَأْنِ الْإِنْسَانِ، وَاشْتَمَلَ عَلَى مَعَانِي الْوَعظِ وَالْإِرْشَادِ، وَالتَّذْكِيرِ بِاللَّهِ، وَالزُّهْدِ بِالدُّنْيَا، وَيَكْثُرُ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْمَقَالَاتِ الدَّعَوِيَّةِ.
مُبَاحٌ: وَهُوَ مَا أُسْتُخْدِمَ لِتَرْبِيَةِ الْكَلَامِ وَتَقْوِيَّتِهِ، دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَهْدَافٌ أُخْرَى.
مَرْدُودٌ: وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ تَحْرِيفٌ لِلْمَعْنَى، وَسُوءٌ أَدَبٍ مَعَ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَكْثُرُ فِي شِعْرِ الْهَزْلِ وَالْمُجُونِ.

4.1. بَلَاغَةُ الْإِقْتِبَاسِ:

إِنَّ الْإِقْتِبَاسَ يُكْسِبُ الْكَلَامَ حُسْنًا وَطِلَاوَةً، وَيُقَوِّي الْفِكْرَةَ الَّتِي يُرِيدُ الْأَدِيبُ إِثْبَاتَهَا، وَيَذِلُّ عَلَى سِعَةِ إِطْلَاعِ الْأَدِيبِ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، وَقَدْرَتِهِ عَلَى تَطْوِيعِهَا خِدْمَةً لِنَصِّهِ.

^{١٢٨} محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها، أنظر إلى الأعلام (١٧٦/٦).

^{١٢٩} يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليه نسبته، أنظر إلى الأعلام (١٤٩/٨).

^{١٣٠} أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي: فاضل، له (عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح - ط) ولي قضاء الشام فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. أنظر إلى الأعلام (١٧٦/١).

^{١٣١} عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر). أنظر إلى الأعلام (١٨٤/٤).

2. التَّضْمِينُ:

1.2. التَّضْمِينُ لُغَةً:

جَاءَ فِي مُعْجَمِ "الْعَيْنِ" فِي بَابِ الضَّادِ وَالْمِيمِ وَالتَّوْنِ مَعَهُمَا: ضَمِنَ: الضَّمْنُ وَالضَّمَانُ وَاحِدٌ، وَالضَّمِينُ: الضَّامِنُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْرَزَ فِيهِ شَيْءٌ فَقَدْ ضَمَّنَهُ.^{١٣٢}

وَفِي جَمَهَرَةِ اللُّغَةِ: ضَمِنْتُ ضَمَانًا فَأَنَا ضَمِينٌ وَضَامِنٌ، مِثْلُ الْكَفِيلِ سَوَاءٌ وَرَجُلٌ ضَمِنَ بَيْنَ الضَّمَانَةِ، مِثْلُ زَمَنِ بَيْنَ الزَّمَانَةِ، مِنْ قَوْمٍ ضَمْنَى. وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ وَعَاءً لَشَيْءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ.^{١٣٣}

وَوَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي فَصْلِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ: ضَمِنَ: الضَّمِينُ: الْكَفِيلُ. ضَمِنَ الشَّيْءَ وَبِهِ ضَمْنًا وَضَمَانًا: كَفَلَ بِهِ. وَضَمَّنَهُ إِيَّاهُ: كَفَّلَهُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: فَلَانٌ ضَامِنٌ وَضَمِينٌ. يُقَالُ: ضَمِنْتُ الشَّيْءَ أَضَمَّنْتُهُ ضَمَانًا، فَأَنَا ضَامِنٌ، وَهُوَ مَضْمُونٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَيْ ذُو ضَمَانٍ عَلَى اللَّهِ.^{١٣٤}

2.2. التَّضْمِينُ إِصْطِلَاحًا:

التَّضْمِينُ: هُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شَعْرِ الْغَيْرِ، وَلَوْ بَعْضَ مِصْرَاعٍ، فَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا، فَشُهُرَتُهُ تُغْنِي عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُ مَشْهُورًا، وَجِبَ التَّنْبِيهُ لِئَلَّا يُظَنَّ بِهِ السَّرِقَةُ، بِذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى نِسْبَتِهِ لِقَائِلِهِ.

^{١٣٢} مُعْجَمُ الْعَيْنِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٥١-٥٠/٧).

^{١٣٣} ابْنُ دُرَيْدٍ، جَمَهَرَةُ اللُّغَةِ، تَحْقِيقُ زَمْزِي مُنِيرٍ بَعْلَبَكِي، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ١٩٨٧م، (٩١١/٢).

^{١٣٤} مُعْجَمُ لِسَانِ الْعَرَبِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، (٢٥٧/١٣).

فَمِنْ تَضْمِينِ مَا هُوَ دُونَ الْمِصْرَاعِ دُونَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ شِعْرِ آخَرَ. قَوْلُ الْأَخْطَلِ:

ولقد سما للخرمي، فلم يقل يوم الوغى: إني «تضايق مقدمي»^{١٣٥}

فَقَوْلُهُ «تضايق مقدمي» مُضْمَنَةٌ مِنْ بَيْتِ عَنَتْرَةَ بْنِ شَدَّادٍ^{١٣٦} (ت: ٢٢ ق م):

إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَحْمِ عنها ولكني تضايق مُقَدِّمِي^{١٣٧}

وَمِنْ تَضْمِينِ مَا هُوَ دُونَ الْمِصْرَاعِ مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ شِعْرِ آخَرَ. قَوْلُ أَحَدِهِم:

عَوَّدَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصُهُ بُخْلًا بِيَّاسِينَ

فَبِتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ «قِفَا نَبِكُ» مَصَارِينِي^{١٣٨}

فَقَوْلُهُ «قِفَا نَبِكُ» مُضْمَنَةٌ مِنْ مَطْلَعِ مُعَلِّقَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ الشَّهِيرَةِ، وَقَدْ نَبَّهَ الشَّاعِرُ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شِعْرِهِ

عِنْدَمَا قَالَ: "غَنَّتْ". وَبَيَّتْ امْرِئُ الْقَيْسِ، بِتَمَامِهِ هُوَ:

قِفَا نَبِكُ، مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ، وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ، فَحَوَّلَ^{١٣٩}

وَمِنْ تَضْمِينِ مِصْرَاعِ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى قَائِلِهِ. قَوْلُ ابْنِ خَلَّكَانَ:

كَمْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَعْتُ وَجَنَائُهُ حَوْلَ الشَّقِيقِ الْغَضِّ دَوْحَةَ آسٍ

لِعِذَارِهِ السَّارِي الْعَجُولِ بَخْدَهُ «مَا فِي وَفُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَاسٍ»

فَالْمِصْرَاعَ الْآخِرَ مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لِأَبِي تَمَّامٍ.

^{١٣٥} البديع في البديع، مصدر سابق، (١٥٩).

^{١٣٦} عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة. أنظر إلى الأعلام (٩١/٥).

^{١٣٧} ديوان عنتره، تحقيق محمد سعيد المولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٠، (٢١٥).

^{١٣٨} الصناعتين، مصدر سابق، (٣٦).

^{١٣٩} ديوان امرئ القيس، مصدر سابق، (٢١).

وَمِنْ تَضْمِينِ مِصْرَاعٍ مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ. قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ^{١٤٠} (ت: ٥١٦ هـ):

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي «أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا»

الْمِصْرَاعُ الْآخِرُ لِلشَّاعِرِ الْعَرَجِيِّ^{١٤١} (ت: ١٢٠ هـ). وَقَدْ نَبَّهَ الشَّاعِرُ عَلَى أَنَّهُ مُضَمَّنٌ بِقَوْلِهِ: "سَأُنْشِدُ"،

وَالْإِنْشَادُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي أَمْرٍ قَدْ قِيلَ فِيهَا مَضَى. وَبَيَّتَ الْعَرَجِيُّ هُوَ:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغُرُّ^{١٤٢}

وَمِنْ تَضْمِينِ بَيْتِ شِعْرِي كَامِلٍ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْقَائِلِ لِشُهْرَتِهِ. قَوْلُ ابْنِ التَّلْمِيزِ (ت: ٥٦٠ هـ)

كَانَتْ بُلْهَنِيَّةُ الشَّبِيبَةِ سَكْرَةً فَصَحُوتُ وَاسْتَأْنَفْتُ سِيرَةَ مُجْمَلٍ

«وَقَعْدْتُ ارْتَقِبُ الْفَنَاءَ كِرَاكِبٍ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ»

الْبَيْتُ الثَّانِي لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ (ت: ٢٠٨ هـ).

وَمِنْ تَضْمِينِ بَيْتِ شِعْرِي كَامِلٍ مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ. قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيبِ:

إِذْ قَالَ شَاعِرٌ طَيِّ فِي قَصِيدَتِهِ وَهُوَ الْمُقَلَّدُ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ

«وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ دَاهِيَةٍ إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ ذُو الذَّنَبِ»^{١٤٣}

فَالْبَيْتُ الثَّانِي لِأَبِي تَمَّامٍ، وَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ الْخَطِيبِ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (شَاعِرٌ طَيِّ)، وَلَا نَنْسَى أَنَّ الْإِسْمَ

الْكَامِلَ لِأَبِي تَمَّامٍ، هُوَ: حَبِيبُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ أَبُو تَمَّامِ الطَّائِي.

^{١٤٠} القاسم بن علي بن محمد بن عثمان: الأديب الكبير، صاحب "المقامات الحريرية". أنظر إلى الأعلام (١٧٧/٥).

^{١٤١} عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان ابن عفان الأموي القرشي، أبو عمر: شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر ابن أبي ربيعة. كان مشغولاً باللهو والصيد. وكان من الأدباء الظرفاء الاسخياء، من الفرسان المعدادين. أنظر إلى الأعلام (١٠٩/٤).

^{١٤٢} ديوان العرجي، تحقيق خر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٦، (١٥).

^{١٤٣} ديوان لسان الدين بن الخطيب، مصدر سابق، (٩٠).

وَمِنْ أُمَثْلَةٍ تَضْمِينِ أَكْثَرَ مِنْ بَيْتٍ مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى قَائِلِهِ. قَوْلُ ابْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانِ^{١٤٤} (ت: ٥٥٨ هـ):

يا أَهْلَ بَغْدَادَ إِنَّ الْحَيْصَ بَيَّصَ أَتَى بِفَعْلَةٍ أَكْسَبَتْهُ الْخِزْيَ فِي الْبِلَادِ
فَأَنْشَدْتُ جَعْدَةً مِنْ بَعْدِ مَا احْتَسَبْتُ دَمَ الْأُبَيْلَقِ عِنْدَ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
أَبْدَى شَجَاعَةً بِاللَّيْلِ مُجْتَرِئاً عَلَى جُرْيٍ ضَعِيفِ الْبَطْشِ وَالْجَلَدِ
«تَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ»
«كِلَاهُمَا خَلَفَ مَنْ فَقَدَ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي»^{١٤٥}

فَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ مُضْمَنَانِ وَقَدْ أَشَارَ الشَّاعِرُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «أَنْشَدْتُ جَعْدَةً».

وَمِنْ أُمَثْلَةٍ تَضْمِينِ أَكْثَرَ مِنْ بَيْتٍ شِعْرِيٍّ مَعَ عَدَمِ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ شِعْرِ آخَرٍ. قَوْلُ عَبْدِ الْمَلِكِ

الْحَارِثِيِّ^{١٤٦} (ت: ١٩٠ هـ):

وَقَائِلُهُ وَالْدَمْعُ سَكَبَ مُبَادِرٌ وَقَدْ شَرِقَتْ بِالْمَاءِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ
وَقَدْ أَبْصَرَتْ حَمَانٌ مِنْ بَعْدِ أَنْسَاهَا بِنَا وَهِيَ مِنَّا مَوْحِشَاتٌ دَوَائِرُ
«كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنِ إِلَى الصَّفَا أَنْيْسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ»
فَقُلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مِتِّي كَأَنَّمَا يُقَبِّلُهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ طَائِرُ
«بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ»^{١٤٧}

فَالْبَيْتَانِ الثَّالِثُ وَالْخَامِسُ مُضْمَنَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لِعَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَضَاظِ الْجَرَهْمِيِّ^{١٤٨}.

^{١٤٤} هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز: شاعر هجاء خليع ماجن. من أهل بغداد. أنظر إلى الأعلام (٧٥/٨).

^{١٤٥} أنوار الربيع في أنواع البديع، مصدر سابق، (٧٧/٦).

^{١٤٦} عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي: شاعر فحل. من بني الحارث بن كعب، من قحطان. قصد بغداد، فسجنه الرشيد العباسي، وجهل مصيره. وضاع أكثر شعره. وما بقي منه طبقته عالية أنظر إلى الأعلام (١٥٩/٤).

^{١٤٧} شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، (٢٤/١٦).

^{١٤٨} عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي: من ملوك قحطان في الحجاز، في العصر الجاهلي القديم. تولى مكة بعد خروج أبيه منها. وكان ملكه ضعيفاً، لم تطل مدته. مات بمكة. أنظر إلى الأعلام (٧٥/٥).

لَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ أَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ التَّضْمِينَ ضِمْنَ الْمُحْسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ، بَيَدَ أَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْهُ بَلْ اِكْتَفَى بِذِكْرِ
أَمَثَلَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَيْهِ. أَوَّلُ مَنْ عَرَفَهُ بِصُورَةٍ دَقِيقَةٍ كَانَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِهِ "الْعُمْدَةُ" فَقَالَ فِي بَابِ التَّضْمِينَ وَالْإِجَازَةِ:
«فَأَمَّا التَّضْمِينُ فَهُوَ قَصْدُكَ إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ الْقَسِيمِ فَتَأْتِي بِهِ فِي أَوَاخِرِ شَعْرِكَ أَوْ فِي وَسْطِهِ
كَالْمُتَمَثِّلِ».^{١٤٩}

أَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْجُرْجَانِيُّ فَقَدْ قَسَمَ التَّضْمِينَ حَسَبَ الْكَمِّيَّةِ، فَجَعَلَهُ فِي قِسْمَيْنِ. يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْإِشَارَاتِ
وَالْتَنْبِيهَاتِ: «فَإِنْ كَانَ الْمَأْخُودُ بَيِّنًا أَوْ أَكْثَرَ سُمِّيَ: اسْتِعَانَةً، وَإِنْ كَانَ مِصْرَاعًا فَمَا دُونَهُ سُمِّيَ: إِيْدَاعًا أَوْ رَفْوًا».^{١٥٠}
وَأَخِيرًا فَإِنَّ ابْنَ حُجَّةَ الْحَمَوِيَّ (ت: ٨٣٧ هـ) قَدْ سَمَّى التَّضْمِينَ إِيْدَاعًا. لِأَنَّ الشَّاعِرَ يُودِعُ شِعْرَهُ شَيْئًا
مِنْ شَعْرِ غَيْرِهِ.

3.2. جُودَةُ التَّضْمِينَ:

يُمْكِنُ تَلْخِصُ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي التَّضْمِينَ الْحَسَنِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ:

الِاتِّجَاهُ الْأَوَّلُ: يُمَثِّلُهُ ابْنُ رَشِيقٍ الَّذِي رَأَى أَنَّ جُودَةَ التَّضْمِينَ تَقْضِي أَمْرَيْنِ:

- أَوَّلُهُمَا أَنْ يَكُونَ الشَّعْرُ الْمُضْمَنُ فِي وَسْطٍ أَوْ آخِرِ الْقَصِيدَةِ.

- وَثَانِيَهُمَا أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا ضَمَّنَهُ مِنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ أَرَادَهُ. وَمَثَلٌ لَهُ يَقُولُ أَحَدُهُم:

يَا سَائِلِي عَنْ خَالِدٍ عَهْدِي بِهِ رَطْبُ الْعَجَانِ وَكَفُّهُ كَالْجُلْمِدِ

«كَالْأَفْحْوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي»^{١٥١}

^{١٤٩} العُمْدَةُ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٨٤/٢).

^{١٥٠} الْإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٢٨٩).

^{١٥١} العُمْدَةُ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، (٨٥/٢).

فَالْبَيْتُ الثَّانِي مُضْمَنٌ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ (ت: ١٨ ق م) ^{١٥٢}:

تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةٍ بَرَدَا أُسِفٌ لِثَاثُهُ بِالْأَثْمِدِ

كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي ^{١٥٣}

لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ النَّابِغَةَ قَدْ شَبَّهَ ثَعَرَ مَحْبُوبَتِهِ بِالْأَقْحَوَانِ، بَيْنَمَا شَبَّهَ الشَّاعِرُ الثَّانِي كَرَمَ مَمْدُوحِهِ

بِالْأَقْحَوَانِ، فَصَرَفَ بِهَذَا الْبَيْتِ الْمُضْمَنَ عَنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَعْنَى آخَرَ ارْتَاءَهُ.

الِاتِّجَاهُ الثَّانِي: يُمَثِّلُهُ ابْنُ الْأَثِيرِ الَّذِي يَرَى أَنَّ أَحْسَنَ التَّضْمِينِ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنِكَتَةٍ بِأَنْ يَشْتَمِلَ الْبَيْتُ أَوْ

الْمِصْرَاعَ الْمُتَضَمَّنَ فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ الثَّانِي عَلَى لَطِيفَةٍ لَمْ تُوجَدْ فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ الْأَوَّلِ، كَالْتَوْرِيَةِ وَالِاسْتِعَارَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْإِصْبَعِ (ت: ٦٥٤ هـ):

إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَعْرَهَا «تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ»

وَيُذَكِّرُونِي مِنْ قَدْهَا وَمَدَامِعِي «مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَى السَّوَابِقِ» ^{١٥٤}

فَالشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَالشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي مُضْمَنَانِ مِنْ مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ لِلْمُتَنَبِّيِّ

(ت: ٣٥٤ هـ) يَقُولُ فِيهَا:

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَى السَّوَابِقِ ^{١٥٥}

^{١٥٢} زياد بن معاوية بن ضباب الذبباني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من اهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. أنظر إلى الأعلام (٣/٥٤-٥٥).

^{١٥٣} ديوان النابغة الذبباني، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، (١٠٨).

^{١٥٤} ابن أبي الإصبع، تحرير التَّحْبِيرِ، تحقيق حَفْنِي مُحَمَّد شَرْف، الجُمُهورية العربية المتحدة، (٣٨٢).

^{١٥٥} شرح الواجدي لديوان المتنبّي، تحقيق ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الزائد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، (٢٧٩).

إِنَّ (العُذِيبَ) وَ (بَارِقَ) اللَّدَانِ أَشَارَ إِلَيْهِمَا الْمُتَنَبِّيُّ هُمَا إِسْمَانِ لِمَوْضِعَيْنِ فِي مَدِينَةِ الْكُوفَةِ. أَمَّا ابْنُ أَبِي
الإصْبَعِ فَأَرَادَ بِالْعُذِيبِ تَصْغِيرَ الْعَذْبِ وَعَنَى بِهِ شَفَةَ الْحَبِيبَةِ، وَأَرَادَ بِبَارِقِ نَعْرَهَا الشَّبِيهَ بِالْبَرْقِ، وَهَاتَانِ تَوْرِيَتَانِ
جَمِيلَتَانِ جِدًّا. وَشَبَّهُ مَشِيَّتَهَا بِتَمَائِلِ الرِّمَاحِ، وَانْهَمَارِ دُمُوعِهَا بِجَرَيَانِ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ، وَهَذَانِ تَشْبِيهَانِ فِي غَايَةِ
الرُّوعَةِ أَيْضًا.

4.2. بَلَاغَةُ التَّضْمِينِ:

إِنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ إِلَى التَّضْمِينِ رَغْبَةً مِنْهُ فِي تَوْكِيدِ الْمَعَانِي الَّتِي هُوَ بِصَدَدِهَا، وَيَسْتَعِينُ بِهِ فِي تَقْوِيَةِ
تَجَرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ. وَفِي التَّضْمِينِ دَلَالَةٌ عَلَى سِعَةِ إِطْلَاعِ الشَّاعِرِ عَلَى أَشْعَارِ غَيْرِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْحِفْظِ.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ

1. الرُّوْيُ وَالرَّدْفُ وَالْوَصْلُ:

قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الْمُحَسِّنِ اللَّفْظِيِّ الْبَدِيعِيِّ، مِنْ الْجَبْدِ النَّطْرُقُ إِلَى ثَلَاثَةِ مُصْطَلَحَاتٍ وَثِيقَةٍ الصِّلَةِ
بِهِ، نُسْهَلُ فَهَمَّ تَعْرِيفِهِ، وَنُعِينُ عَلَى الْإِلْمَامِ بِحُدُودِهِ، وَنُوضِّحُ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ "الْزُومِ مَا يَلْزَمُ".

الرُّوْيُ: هُوَ الْحَرْفُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ وَتُنْسَبُ إِلَيْهِ. فَيُقَالُ: قَصِيدَةٌ دَالِيَّةٌ نِسْبَةً إِلَى حَرْفِ الدَّالِ، أَوْ ثَانِيَّةٌ
نِسْبَةً إِلَى حَرْفِ الثَّاءِ، وَهَكَذَا. إِنَّ جَمِيعَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ حَرْفَ رُوْيٍ، كَالتَّالِي:

-حَرْفُ (الْهَاءِ) يَكُونُ رُوْيًا إِذَا سَكَّنَ مَا قَبْلَهُ.

-حَرْفُ (الْوَاوِ) يَكُونُ رُوْيًا إِذَا كَانَ سَاكِنًا وَفُتِحَ مَا قَبْلَهُ، أَوْ كَانَ مُتَحَرِّكًا أَصْلِيًّا وَسَكَّنَ مَا قَبْلَهُ.

-حَرْفُ (الْيَاءِ) يَكُونُ رُوْيًا إِذَا كَانَ مُشَدَّدًا، أَوْ إِذَا كَانَ مُتَحَرِّكًا أَصْلِيًّا.

-حَرْفُ (الكَافِ) يَكُونُ رُوْيًا إِذَا كَانَ أَصْلِيًّا وَسَكَّنَ مَا قَبْلَهُ.

-بَاقِي الْحُرُوفِ تَكُونُ رُوْيًا بِلَا شُرُوطٍ.

الرّدف: حَرْفٌ مَدٌّ أَوْ لِينٌ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ مُبَاشَرَةً. وَيَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ مَتَى بَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِاسْتِخْدَامِ الرّدْفِ، أَنْ يَلْتَزِمَ بِهِ طَوَالَ قَصِيدَتِهِ، وَإِلَّا أُعْتَبِرَ ذَلِكَ مِنْ عُيُوبِ الْقَافِيَةِ وَيُسَمَّى: "سِنَادَ الرّدْفِ". لَكِنْ يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ أَنْ يُبَدِّلَ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةَ بَيْنَ حَرْفِ رَدْفٍ وَآخَرَ.

الْوَصْلُ: هُوَ حَرْفٌ مَدٌّ، يَنْشَأُ عَنْ إِشْبَاعِ الْحَرَكَةِ فِي آخِرِ الرَّوِيِّ الْمُطْلَقِ. وَحُرُوفُهُ هِيَ: حُرُوفُ (الْأَلِفِ وَالْيَاءِ وَالْوَاوِ) الَّتِي تَكُونُ لِإِطْلَاقِ، وَ (أَلِفُ) الْإِثْنَيْنِ، وَ (وَاوِ) الْجَمَاعَةِ إِذَا ضُمَّ مَا قَبْلَهَا، وَ (هَاءُ) التَّأْنِيثِ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا. وَ (هَاءُ) الْإِضْمَارِ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا.

2. تَعْرِيفُ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ:

لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ بِالتَّعْرِيفِ: أَنْ يَلْتَزِمَ النَّاتِرُ فِي نَثَرِهِ، أَوْ النَّاطِمُ فِي نَظْمِهِ، بِحَرْفِ قَبْلِ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ، أَوْ بِحَرَكَةٍ، حَسَبَ قُدْرَتِهِ مَعَ عَدَمِ التَّكَلُّفِ، فَالْإِلْزَامُ هُوَ حَرْفُ الرَّوِيِّ فَقَطْ، أَمَّا مَا عَدَاهُ مِمَّا أُلْزِمَ بِهِ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فَهَذَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ أَوْ يَعْدِلَ عَنْهُ وَلَا يُعَدُّ فِي الْوَقْتِ عَيْبًا مِنْ عُيُوبِ الْقَافِيَةِ. إِنَّ فُلُوزُومَ مَا لَا يَلْزَمُ يَرِدُ فِي النَّثْرِ وَالشَّعْرِ. وَمِنْ أَمَثَلِهِ وَرُدَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ. قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢]

فَحَرْفُ الرَّوِيِّ هُوَ (الْقَافُ)، وَقَدْ جِيءَ قَبْلَهُ بِإِلَامٍ مَفْتُوحَةٍ وَهُوَ لَيْسَ بِإِلْزَامٍ، إِذْ يَتِمُّ السَّجْعُ بِدُونِهِ.

وَمِنْ أَمَثَلَتِهِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ قَوْلُ الرَّسُولِ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ

أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»^{١٥٦}.

فَحَرْفُ الرَّوِيِّ هُوَ (الْفَاءُ)، وَقَدْ جِيءَ قَبْلَهُ بِإِلَامٍ وَهُوَ لَيْسَ بِإِلْزَامٍ، إِذْ يَتِمُّ الْكَلَامُ بِدُونِهِ.

^{١٥٦} مُسْلِمٌ صَحِيحُهُ، بَابُ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ١٠١٠، (٢/٧٠٠).

وَمِنْ أُمْتَلَتْهِ فِي النَّثْرِ قَوْلُ ابْنِ الْأَثِيرِ: «الْخَادِمُ يَهْدِي مِنْ دُعَائِهِ وَتَنَائِيهِ مَا يَسْلُكُ أَحَدُهُمَا سَمَاءً وَالْآخَرُ أَرْضاً، وَيَصُونُ أَحَدُهُمَا نَفْساً وَالْآخَرُ عَرَضاً».^{١٥٧}

فَحَرْفُ الرَّوِيِّ هُوَ (الضَّادُ)، وَقَدْ جِيءَ قَبْلَهُ بِرَاءٍ سَاكِنَةٍ وَهُوَ لَيْسَ بِلَازِمٍ، إِذْ يَتِمُّ السَّجْعُ بِدُونِهِ. وَلُزُومُ مَا يَلْزَمُ يَرِدُ فِي النَّظْمِ أَيْضاً، وَهُوَ كَمَا بَيَّنَّ التَّعْرِيفُ قَدْ يَكُونُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَقَدْ يَكُونُ بِحَرَكَةٍ. فَمِمَّا التَّرَمَّ فِيهِ حَرْفٌ وَاحِدٌ. قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ^{١٥٨} (ت: ١١٠ هـ):

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَذَقَ ثَقَلْبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَذَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ^{١٥٩}

فَحَرْفُ الرَّوِيِّ هُوَ (الضَّادُ)، وَقَدْ جِيءَ قَبْلَهُ بِحَرْفِ الرَّدْفِ (الْأَلِفُ)، وَقَبْلَهُ بِالرَّاءِ وَهِيَ لَيْسَتْ بِلَازِمَةٍ، إِذْ يَتِمُّ النَّظْمُ بِدُونِهِ.

وَمِمَّا التَّرَمَّ فِيهِ بِحَرْفَيْنِ. قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِيِّ^{١٦٠} (ت: ٤٤٩ هـ):

كُلُّ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خَبْرَةٍ فَهُمْ يَمْرُونَ وَلَا يَعْدُبُونَ
وَلَا تُصَدِّقْهُمْ إِذَا حَادَّثُوا فَإِنِّي أَعْهَدُهُمْ يَكْذِبُونَ

فَحَرْفُ الرَّوِيِّ هُوَ (النُّونُ)، وَقَدْ جِيءَ قَبْلَهُ بِحَرْفِ الرَّدْفِ: (الْوَاوُ)، وَقَبْلَهُ بِحَرْفِي (الذَّالُ) وَ (البَاءُ)، وَهُمَا لَيْسَا بِلَازِمَيْنِ، إِذْ يَتِمُّ النَّظْمُ بِدُونِهِمَا.

^{١٥٧} ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد حوفي ويديوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (٢٨١/١).

^{١٥٨} همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، كان يقال:

لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. أنظر إلى الأعلام (٩٣/٨).

^{١٥٩} ديوان الفرزدق، تحقيق علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، (٣٣٩).

^{١٦٠} أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. أنظر إلى الأعلام (١٥٧/١).

وَمِمَّا التَّرَمَ فِيهِ الْحَرَكَهَ فَقَط. قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَنُوضِحَ فَالْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَائِلِ^{١٦١}

فَحَرَفُ الرَّوِيِّ هُوَ (اللام)، وَقَدْ جِيَءَ قَبْلَهُ بِفَتْحَةٍ وَهِيَ لَيْسَتْ بِلَازِمَةٍ، إِذْ يَتِمُّ النِّظْمُ بِدُونِهِ.

إِنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ تَسْمِيَةَ "لُزومٍ" مَا لَا يَلْزَمُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْهُ مَعَ ألوانِ الْبَدِيعِ الْخَمْسَةِ بَلْ ضَمَّهُ إِلَى مُحَاسِنِ الْكَلَامِ، وَعَرَّفَهُ بِقَوْلِهِ: «إِعْنَاتُ الشَّاعِرِ نَفْسَهُ فِي الْقَوَافِي وَتَكْلُفُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ لَهُ»^{١٦٢}. ثُمَّ أوردَ بَعْضَ الْإِمْتِلَهِ الْقَلِيلَةَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ وَرَدَ مَفْهُومُ "لُزومٍ" مَا لَا يَلْزَمُ، تَحْتَ مُسَمِّيَّاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا: الْإِلْتِزَامُ: لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ شَاعِرًا كَانَ أَوْ نَائِرًا أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ لَازِمًا لَهُ. وَالتَّضَمُّنُ: لِتَضْمِينِهِ قَافِيَتَهُ مَا لَا يَلْزَمُهَا. وَالْإِعْنَاتُ: لِإِيقَاعِ نَفْسِهِ فِيهَا فِيهِ عَنَتٌ أَيْ: مَشَقَّةٌ. وَالتَّضْيِيقُ وَالتَّشْدِيدُ: لِأَنَّ الْأَدِيبَ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ قَدْ ضَيَّقَ وَشَدَّدَ عَلَيْهَا.

إِنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ "الْمَثَلُ السَّائِرُ" قَدْ أَلْحَقَ التَّصْغِيرَ بِالْزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ. يَقُولُ شَارِحًا ذَلِكَ: «وَعَلِمَ أَنَّهُ إِذَا صَغُرَتِ الْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ مِنْ فَوَاصِلِ الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُلْحَقٌ بِاللُّزومِ، وَيَكُونُ التَّصْغِيرُ عَوْضًا عَنِ تَسَاوِيِ الْحُرُوفِ الَّتِي قَبْلَ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، وَالْحُرُوفِ الَّتِي قَبْلَ الْفَاصِلَةِ مِنَ النَّثْرِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَحَدِهِمْ:

عَزَّ عَلَى لَيْلَى بَذِي سُدَيْرٍ سِوَاءِ مَبِيتِي لَيْلَةَ الْعُمَيْرِ

مَقْضِبًا نَفْسِي فِي طُمَيْرٍ تَنْتَهَزُ الرِّعْدَةَ فِي ظُهُيرِي^{١٦٣}

^{١٦١} ديوان امرئ القيس، مصدر سابق، (٢١).

^{١٦٢} البديع في البديع، مصدر سابق، (١٧٥).

^{١٦٣} المثل السائر، مصدر سابق، (٢٨٩/١).

3. بَلَاغَةُ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ:

فِي هَذَا الْفَنِّ يَلْتَزِمُ الشَّاعِرُ بِحُرُوفٍ وَحَرَكَاتٍ فِي الْقَافِيَةِ، لَا تَتَطَلَّبُهَا قَوَاعِدُ عِلْمِ الْقَافِيَةِ وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ الْإِيْقَاعِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى مَهَارَتِهِ اللَّغَوِيَّةِ، وَهُوَ يُعَدُّ مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ، إِذَا أَتَى عَفْوَ الْخَاطِرِ غَيْرَ مَقْصُودٍ بِذَاتِهِ وَلَا مُتَعَمِّدٍ. وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى مَقْدَرَةِ النَّاطِمِ، وَسِعَةِ إِحَاطَتِهِ بِاللُّغَةِ وَالْمَفْرَدَاتِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَمِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ مَالُوا إِلَى الْلُزُومِ فِي شِعْرِهِمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ^{١٦٤} (ت: ٧٥ هـ)، وَكُنَيْزُ عَزَّةَ^{١٦٥} (ت: ١٠٥ هـ)، وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرِينَ فَقَدْ تَوَسَّعُوا فِيهِ وَأَكْثَرُوا مِنْهُ، حَتَّى أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِيَّ (ت: ٤٤٩ هـ)، لَهُ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الشَّعْرِ دِيْوَانٌ كَامِلٌ سَمَّاهُ "الْزُرُومِيَّاتِ".

المطلب الخامس: رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ

1. رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ لُغَةً:

الرَّدُّ: صَرَفُ الشَّيْءِ وَرَجْعُهُ. وَالرَّدُّ: مَصْدَرٌ رَدَدْتَ الشَّيْءَ.^{١٦٦}

عَجَزُ الشَّيْءِ عِجْزُهُ وَعَجْزُهُ وَعَجْرُهُ: آخِرُهُ.^{١٦٧}

الصَّدْرُ: أَعْلَى مَقْدَمِ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوَّلُهُ.^{١٦٨}

^{١٦٤} عبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي: من شعراء الدولة الأموية، ومن المتعصبين لها. كوفي المنشأ والمنزل. كان هجاءاً، يخاف الناس شره. ولما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة جئ به أسيراً، فأطلقه وأكرمه، فمدحه، وانقطع إليه، وعمي بعد مقتل مصعب. ومات في خلافة عبد الملك بن مروان. أنظر إلى الأعلام (٨٧/٤).

^{١٦٥} كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. أنظر إلى الأعلام (٢١٩/٥).

^{١٦٦} لسان العرب، مصدر سابق، (١٧٢/٣).

^{١٦٧} نفس المصدر، (٣٧٠/٥).

^{١٦٨} نفس المصدر، (٤٤٥/٤).

2. رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ إِصْطِلَاحاً:

إِنَّ رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ يَرِدُ فِي النَّثْرِ وَالشَّعْرِ، وَهُوَ فِي النَّثْرِ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا -اشتقاقاً أو شبه اشتقاق- فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً» [نوح: ٧]

وَفِي النَّظْمِ: أَنْ يَكُونَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ فِي آخِرِ الْبَيْتِ، وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ، أَوْ حَشْوِهِ، أَوْ آخِرِهِ، أَوْ صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي.

وَاللِّفْظَانِ "الْمُكَرَّرَانِ" هُمَا الْمُتَّفَقَانِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَاللِّفْظَانِ "الْمُتَجَانِسَانِ" هُمَا الْمُتَشَابِهَانِ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى، وَاللِّفْظَانِ "الْمُلْحَقَانِ بِهِمَا" هُمَا اللَّذَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ فِيرْجِعَانِ إِلَى أَصْلٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ، أَوْ شِبْهِ الْإِشْتِقَاقِ فَيَكُونُ فِي أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ جَمِيعُ حُرُوفِ اللَّفْظَةِ الْآخَرَى أَوْ أَكْثَرُهَا دُونَ أَنْ يَجْمَعَهُمَا أَصْلٌ لُغَوِيٌّ وَاحِدٌ.

فَمِنْ أَمْثَلَةِ اللَّفْظَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ. قَوْلُ الْحَلَّاجِ^{١٦٩} (ت: ٣٠٩ هـ):

تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدُنَا مَا تَمَنَّتْ^{١٧٠}

فَالْفِعْلَانِ الْمَاضِيَّانِ (تَمَنَّتْ)، قَدْ انْتَفَقَا فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَجَانِسَيْنِ. قَوْلُ الْقَاضِي الْأَرْجَانِيِّ^{١٧١} (ت: ٥٤٤ هـ):

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكُمْ سَفَاهاً فَدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُمْ دَعَانِي^{١٧٢}

^{١٦٩} الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أنظر إلى الأعلام (٢٥٩/٢-٢٦٠).

^{١٧٠} عَبْدُ الْمُتَعَالِ الصَّعِيدِي، بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ، الطَّبَعَةُ السَّابِعَةُ عَشَرَ، مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ، ٢٠٠٥م، (٤/٦٦٦).

^{١٧١} أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، الأرجاني: شاعر، في شعره رقة وحكمة. ولي القضاء بتستر وعسكر مكرم وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان، أنظر إلى الأعلام، (١/٢١٥).

^{١٧٢} بهاء الدين السبكي، عُرُوسُ الْأَفْرَاحِ فِي شَرْحِ تَلْخِصِ الْمِفْتَاحِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْهِنْدَاوِيِّ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، بَيْرُوت، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، ٢٠٠٣، (٢/٢٩٦).

فَدَعَانِي (الأوّل فعلٌ أمرٌ بِمعنى: أتركاني، و دَعَانِي) الثّاني فعلٌ ماضٍ بِمعنى: طَلَبَنِي وَنَادَانِي،
فَنَشَابَهَا بِاللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ اللَّفْظَيْنِ الْمُلْحَقَيْنِ اللَّذَيْنِ يَجْمَعُهُمَا الْاِشْتِقَاقُ. قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ:

ضَرَائِبُ أَبْدَعَتْهَا فِي السَّمَاحِ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرْبًا^{١٧٣}

فَدَعَانِي (ضَرَائِبُ) جَمْعُ ضَرْبِيَّةٍ، وَهِيَ مَا طُبِعَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَ(الضَّرِيبُ) هُوَ الْمَثِيلُ وَالنَّظِيرُ، وَكِلَاهُمَا يَرْجِعَانِ
لِلأَصْلِ اللُّغَوِيِّ: (ضَرَبَ).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ اللَّفْظَيْنِ الْمُلْحَقَيْنِ اللَّذَيْنِ يَجْمَعُهُمَا شِبْهُ الْاِشْتِقَاقِ. قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيِّ:

وَمُضْطَلَعٌ بِنُتْخِصِ الْمَعَانِي وَمُطَّلَعٌ إِلَى تَخْلِصِ عَانٍ^{١٧٤}

فَاللَّفْظُ الْأَوَّلُ (المعاني) مِنْ عَنَى يَعْنِي، وَالثَّانِي (عاني) اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ: عَنَا يَعْنُو، فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا شِبْهُ
الْاِشْتِقَاقِ لِاخْتِلَافِ الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ.

إِنَّ اللَّفْظَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ "رَدِّ الصَّدْرِ عَلَى الْعَجْزِ" كَمَا نَصَّ عَلَيْهَا التَّعْرِيفُ، سَتَرْدُ فِي آخِرِ النَّبَيْتِ الشَّعْرِيِّ
لَا مُحَالَةً، أَمَّا اللَّفْظَةُ الْأُولَى فَيَتَغَيَّرُ مَكَانُهَا. وَتَبَعًا لِذَلِكَ اسْتَقْصَى الْعُلَمَاءُ الْأَمَاكِنَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعَ فِيهَا،
وَتَوَصَّلُوا إِلَى نَتِيجَةٍ مَفَادِهَا أَنَّهَا تَرْدُ فِي أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ تَقْصِيلُهَا عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

^{١٧٣} ديوان البُحْتَرِيِّ، مصدر سابق، (١٥١/١).

^{١٧٤} مُحَمَّدُ بْنُ عَرَفَةَ الدُّسُوقِيُّ، حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْهِنْدَاوِيِّ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، بَيْرُوت، (١٨٨/٤).

3. وَجْه رَدِّ الصَّدْرِ عَلَى الْعَجَزِ:

الوجه الأول: أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في أول الشطر الأول. ومثاله قول الشاعر الأقيشر^{١٧٥} (ت: ٨٠ هـ):

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدى بِسَرِيعٍ^{١٧٦}

والوجه الثاني: أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في حشو الشطر الأول. ومثاله قول الصّمة بن عبد الله القشيري^{١٧٧} (ت: ٩٥ هـ):

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَزَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَزَارٍ^{١٧٨}

والوجه الثالث: أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في آخر الشطر الأول. ومثاله قول أبي تمام.

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبَ مُعْرِماً فَمَا زِلْتَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبَ مُعْرِماً^{١٧٩}

والوجه الرابع: أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في أول الشطر الثاني. ومثاله قول ذي الرّمة:

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجُ سَاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا^{١٨٠}

^{١٧٥} المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدي، أبو معرض: شاعر هجاء، عالي الطبقة. من أهل بادية الكوفة. كان يتردد إلى الحيرة. ولد في الجاهلية، ونشأ في أول الإسلام. وعاش عمراً طويلاً، أنظر إلى الأعلام، (٢٧٧/٧).

^{١٧٦} كتاب البديع، مصدر سابق، (١٤٠).

^{١٧٧} الصّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر: شاعر غزل بدوي. من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المتيمين. مات في طبرستان، أنظر إلى الأعلام، (٢٠٩/٣).

^{١٧٨} حاشية الدسوقي، مصدر سابق، (١٧٠/٤).

^{١٧٩} ديوان أبي تمام، مصدر سابق، (٢٣٦/٣).

^{١٨٠} يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، (١٧١/٢).

وَقَدْ زَادَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ "الصِّنَاعَتَيْنِ" إِلَى الْوَجْهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَجْهًا خَامِسًا، فَنَوَّهَ إِلَى أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعَ اللَّفْظَةُ الْأُولَى فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِيَةِ فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الثَّانِي، مُسْتَشْهِدًا بِقَوْلِ نَمْرِ بْنِ تَوْلَبٍ^{١٨١} (ت: ١٤ هـ):

يَوَدُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ^{١٨٢}

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الْفَنِّ الْبَدِيعِيُّ اللَّفْظِيُّ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ (ت: ٢٩٦ هـ) فَلَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، وَعَدَّهُ فِي كِتَابِهِ "الْبَدِيعُ فِي الْبَدِيعِ" أَحَدَ فُنُونِ الْبَدِيعِ الْخَمْسَةِ الْكُبْرَى، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَهَمِّيَّةِ هَذَا الْمُحَسِّنِ اللَّفْظِيِّ، وَسَمَّاهُ «رَدُّ أَعْجَازِ الْكَلَامِ عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا»، وَقَسَّمَهُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ حَسَبَ مَكَانِ وُرُودِ اللَّفْظَةِ الْأُولَى، وَمَثَّلَ لَهُ نَثْرًا وَشِعْرًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ يَرِدُ فِي الْكَلَامِ بِنَوْعِيهِ.

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمُحَسِّنُ اللَّفْظِيُّ بِأَسْمَاءٍ أُخْرَى فَسَمَّاهُ ابْنَ رَشِيقٍ "التَّصْدِيرِ"، وَعَلَى نَهْجِهِ سَارَ أَسَامَةُ بْنُ الْمُنْفِذِ وَآخَرُونَ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ سَمَّى هَذَا الْمُحَسِّنَ "رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ" كَالسَّبْكِ وَالرَّازِي وَالْفَرَوِينِي، وَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ.

4. بَلَاغَةُ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ:

تَكْمُنُ بَلَاغَةُ "رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ" فِي ثَلَاثَةِ أُمُور:

- أَوَّلُهُمَا تَقْرِيرُ الْمَعَانِي وَتَوْكِيدُهَا، ذَلِكَ أَنَّ تِكْرَارَ اللَّفْظِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْمَعْنَى الَّتِي يُرِيدُ الْأَدِيبُ إِيْصَالَهُ إِلَى الْمُتَلَقِّي.

^{١٨١} النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمرا طويلا في الجاهلية، لم يمدح أحدا ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جوادا وهابا لماله. يشبه شعره بشعر حاتم الطائي. أنظر إلى الأعلام (٤٨/٨).

^{١٨٢} الصناعتين، مصدر سابق، (٣٨٨).

- وَثَانِيهِمَا أَنَّ رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ يَجْعَلُ أَوَّلَ الْكَلَامِ دَالًّا عَلَى آخِرِهِ، وَيَرْبِطُ آخِرَهُ بِأَوَّلِهِ، وَتِلْكَ هِيَ الْبَلَاغَةُ بِعَيْنِهَا، وَفِي هَذَا يَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ فِي أَحَدِ فُصُولِ كِتَابِهِ دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مِمَّا هُوَ أَصْلٌ فِي أَنْ يَدُقَّ النَّظْرُ، وَيَغْمُضَ الْمَسْلُوكُ، فِي تَوْخِيِ الْمَعَانِي الَّتِي عَرَفْتَ: أَنْ تَتَّحِدَ أَجْزَاءُ الْكَلَامِ وَيَدْخُلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَيَشْتَدَّ ارْتِبَاطُ ثَانٍ مِنْهَا بِأَوَّلٍ».^{١٨٣}

- وَثَالِثُهُمَا الْمَوْسِيقَى الَّتِي يُحْدِثُهَا تَكَرُّرُ الْأَلْفَاظِ، لِيَزِيدَ بِذَلِكَ الْكَلَامَ رَوْنَفًا وَجَمَالًا.



^{١٨٣} عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، (١/٩٣).

المبحث الرابع: المُحَسَّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ فِي دِيْوَانِ الشَّاعِرِ

1. الجِناس

عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجُودَ أَكْفُهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ عَفَاءُ

الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ فَسَادِ الْإِخْوَانِ. الشَّاهِدُ (عَزِيزٌ وَعَزِيزٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى: الْقَلِيلِ نَادِرٍ، وَالثَّانِيَةِ بِمَعْنَى: الْمَنِيْعِ. نَوْعُ الْجِنَاسِ تَامٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِّهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ. إِخْتِيَارُ الْجِنَاسِ هُنَا مَنَحَ النَّصِّ مُوسِيقِيَّ، تَتَنَاسَبُ مَعَ حَالَةِ الْحُزَنِ الَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَى الشَّاعِرِ؛ نَتِيجَةً لِلْحَالِ الَّذِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْعَلَاقَاتُ بَيْنَ الْإِصْدِقَاءِ.

يَا مُذَكِّي النَّارِ فِي جَوَانِحِي أَنْتَ دَوَائِي وَأَنْتَ دَائِي

الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ غَزَلِيَّةٍ. الشَّاهِدُ (دَوَاءٌ وَدَاءٌ). نَوْعُ الْجِنَاسِ مُزْدَوِجٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتْ الْأُولَى عَنِ الثَّانِيَةِ بِحَرْفِ (الْوَاوِ) فِي الْوَسَطِ. زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ (الدَّوَاءَ) عَكْسُ (الدَّاءِ) فِي الْمَعْنَى، فَنَحْنُ أَمَامَ جِنَاسٍ وَطَبَاقٍ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، وَهُوَ مَا يَعْكِسُ الْمَشَاعِرَ الْمُتَنَاقِضَةَ الَّتِي يَعِيشُهَا الشَّاعِرُ، فَهُوَ مِنْ نَاحِيَةٍ يَأْمَلُ بِلِقَاءِ الْحَبِيبَةِ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى يَشْعُرُ بِالْيَأْسِ وَالْإِحْبَاطِ؛ بِسَبَبِ إِخْلَافِ الْمَحْبُوبَةِ الدَّائِمِ لِمَوَاعِيدِهَا مَعَ الشَّاعِرِ.

أَقَمْنَا عَلَيْهَا اللَّهُوَ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ فَكَمْ لَهُمْ فِصْحًا بِهِ قُطِعَ الْفِصْحُ

الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ تُخَلِّدُ ذِكْرَ فَتْحِ حِصْنِ (بِلَايِ). الشَّاهِدُ (فِصْحٌ وَفِصْحٌ). الْأُولَى هِيَ عِيدُ فِطْرِ النَّصَارَى، وَالثَّانِيَةِ هِيَ ظُهُورُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ. نَوْعُ الْجِنَاسِ تَامٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِّهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ. يُلَاحَظُ هُنَا لُجُوءَ الشَّاعِرِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خِدَاعِ الْأَفْكَارِ.

يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مَعْنَى [طَلَبِ الرَّغَائِبِ وَاحْتِمَالِ الْمَغَارِمِ]:

يَسْعَى بِهِ أَمَلٌ مِنْ دُونِهِ أَجَلٌ إِنَّ كَفَّهُ رَهَبٌ يَسْتَدْعِيهِ رَغَبٌ

الشَّاهِدُ (رَهَبٌ وَرَغَبٌ). الأولى مَصْدَرُ الْفِعْلِ (رَهَبَ) بِمَعْنَى: الْخَوْفُ، والثَّانِيَّةُ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (رَغَبَ) بِمَعْنَى: الرَّغْبَةُ. النوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْخَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِحَرْفِ مُتَوَسِّطٍ: (الهاء) وَ (العين). وَبَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ طِبَاقٌ أَيْضاً، وَتَوْظِيفُهُ يَتَنَاسَبُ تَمَاماً مَعَ الْمَعْنَى الَّتِي يَطْرَحُهَا، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ سَعْيَ الْإِنْسَانِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَعَالِي، يَنْطَوِي عَلَى مَخَاطِرَ وَعَقَبَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَجَمَالَ الْجِنَاسِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْجَانِبِ اللَّفْظِيِّ بَلْ أَسْهَمَ فِي إعْطَاءِ الْبَيْتِ قِيَمَةً مَعْنَوِيَّةً.

إِحْتَبَسَ الْمَطَرُ وَالْحَقَّ الْقَطْ وَتَحَدَّثَ الْمُتَجَمُّونَ بِأَنَّ الْمَطَرَ سَيَتَأَخَّرُ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَزَجَا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنْ يُكْذِبَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، فَلَمْ يَأْتِ أَوَّلُ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْمَطَرُ قَدْ نَزَلَ، فَقَامَ الشَّاعِرُ، وَقَرَّبَ الْمِصْبَاحَ مِنْهُ، وَنَسَخَ أَيْبَاتاً مَطْلَعُهَا:

وَقُلْ لِعَبَّاسٍ وَأَشْيَاعِهِ كَيْفَ تَرَى قَوْلَكُمْ الْكَاذِبُ

خَانِكُمْ كَيَوَانُ فِي قَوْسِهِ وَغَرَّكُمْ فِي لَوْنِهِ الْكَاتِبُ

الشَّاهِدُ (الكَاذِبُ وَالْكَاتِبُ). النوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْخَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِالْحَرْفِ الْأَوَّلِ: (العين) وَ (الحاء). لَا شَكَّ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْجِنَاسِ هُنَا كَانَ مُوَفِّقاً لِلْغَايَةِ، فَالْبَيْتُ يَحْمِلُ مَعَانٍ كَثِيرَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُدْرَةَ وَالتَّصَرُّفَ هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَسَلَامَةُ الْجِنَاسِ تَكْمُنُ فِي أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ جَعَلَهُ تَابِعاً لِلْمَعْنَى، يَقُولُ الْجِرْجَانِيُّ فِي هَذَا: «الْأَلْفَاظُ خَدَمُ الْمَعَانِي وَالْمُصَرَّفَةُ فِي حَكْمِهَا، وَكَانَتِ الْمَعَانِي هِيَ الْمَالِكَةُ سِيَاسَتِهَا، الْمُسْتَحَقَّةُ طَاعَتِهَا»^{١٨٤}

^{١٨٤} عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (٨).

يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي رَجُلٍ بَخِيلٍ وَعَدَهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ مَاطَلَهُ بِهِ:

رَجَاءٌ دُونَ أَقْرَبِهِ السَّحَابُ وَوَعْدٌ مِثْلُ مَا لَمَعَ السَّرَابُ

الشَّاهِدُ (سَحَابٌ وَسَرَابٌ). النُّوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنُوعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِحَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ: (الْحَاءُ) وَ (الرَّاءُ). يُلَاحَظُ أَنَّ الْجِنَاسَ فِي الْبَيْتِ قَدْ أَهْدَتْ نَوْعٌ مِنَ التَّنَاسُبِ وَالْإِنْجَامِ بَيْنَ شَطْرَيْهِ.

أَنْشَدَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مُؤَثَّفًا إِنْتِصَارَ الْجَيْشِ الْمَرْوَانِيِّ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى حَفْصُونَ^{١٨٥} (ت: ٣٠٥ هـ):

وَتَرَهُ يَأْفِرُ بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا كَالْبَحْرِ عِنْدَ ثَلَاثِ الْأُمُوجِ

الشَّاهِدُ (قَنَا وَقَنَابِلٌ). الْأُولَى جَمْعٌ مُفْرَدُهَا (قَنَاةٌ) بِمَعْنَى: الرُّمَحِ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى: الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ. نَوْعُ الْجِنَاسِ مُزْدَوِجٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتْ الْأُولَى عَنِ الثَّانِيَةِ بِحَرْفِي (الْبَاءُ وَاللَّامُ) فِي آخِرِهَا. فِي الْبَيْتِ جَرَسٌ مُوسِيقِيٌّ ثَقِيلٌ نَتَجَ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ الشَّاعِرِ لِلْفُظْيِ الْجِنَاسِ مُتَتَابِعِينَ.

يَصِفُ الشَّاعِرُ الْخَمْرَةَ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهَا:

وَحَامِلَةٌ رَاحًا عَلَى رَاحَةِ الْيَدِ مُورَدَةٌ تَسْعَى بِلَوْنٍ مُورَدٍ

الشَّاهِدُ (رَاحٌ وَرَاحَةٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى: الْخَمْرُ، وَالثَّانِيَةُ: كَفُّ الْيَدِ. النَّوعُ جِنَاسٌ مُزْدَوِجٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتْ الثَّانِيَةُ عَنِ الْأُولَى بِ(التَّاءِ) فِي آخِرِهَا. مَنَحَ الْجِنَاسُ الْبَيْتَ الشَّعْرِيَّ خِفَّةً مِنْ خِلَالِ الْاسْتِفَادَةِ بَيْنَ التَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ كَلِمَتَيْ (الرَّاحِ) وَ (الرَّاحَةِ).

^{١٨٥} عمر بن حفص (حفصون) بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش: ثائر من أهل الأندلس. هو أول من فتح باب الشقاق والخلاف واسعا فيها، ينعتة المؤرخون باللعين والخبيث ورأس النفاق. أنظر إلى الأعلام (٤٤/٥).

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ:

مَنْ لِي إِذَا جُدْتُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مِنِّي نَحْوَ الْمَوْتِ قَيِّدَ يَدِ

الشَّاهِدُ (قَيِّدَ وَبَدَ). الْأَوَّلَى بِمَعْنَى: الْمَقْدَارُ، نَوْعُ الْجِنَاسِ مُزْدَوِجٌ. لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ انْتَقَا بِنَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَزَادَتْ الْأَوَّلَى عَنِ الثَّانِيَةِ بِحَرْفِ (الْقَافِ) فِي الْبِدَايَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجِنَاسَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ لَفْظَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ يَزِيدُ الْكَلَامَ رَوْنًا وَحَلَاوَةً.

وَقَالَ لِلنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ يَوْمَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِي قُرْطُبَةَ:

يَا مَنْ عَلَيْهِ رِداءُ الْبَاسِ وَالْجُودِ مِنْ جُودِ كَفَكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ

الشَّاهِدُ (جُودَ وَعُودَ). الْأَوَّلَى بِمَعْنَى: الْكَرَمُ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى: الشَّجَرَةُ. النُّوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ انْتَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِالْحَرْفِ الْأَوَّلِ: (الْجِيمِ) وَ (الْعَيْنِ). إِنَّ هَذَا التَّجَاوُبَ الْمَوْسِيقِيَّ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ، وَالصَّادِرَ عَنِ التَّمَاثُلِ النَّاqِصِ مِمَّا تَمِيلُ إِلَيْهِ الْأَذَانُ وَالْقُلُوبُ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي التَّوْبَةِ مِنَ الْمُجُونِ:

حُورٌ سَقَتْنِي بِكَاسِ الْمَوْتِ أَعْيُهَا مَاذَا سَقَتْنِيهِ تِلْكَ الْأَعْيُنُ الْحُورُ

الشَّاهِدُ (حُورَ وَحُورَ). الْأَوَّلَى جَمْعُ مُفْرَدُهَا (حَوْرَاءَ) وَهِيَ الْمَرَأَةُ الْبَيضاءُ، وَالثَّانِيَةُ صِفَةُ لِلْعَيْنِ الَّتِي اشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِهَا وَسَوَادُ سَوَادِهَا. نَوْعُ الْجِنَاسِ تَامٌ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ انْتَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِيدِهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ. إِنَّ قِيَمَةَ الْجِنَاسِ فِي هَذَا الْبَيْتِ لَا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ إِشَاعَةِ الْمَوْسِيقَى، بَلْ تَتَعَدَّاهَا إِلَى إِحْكَامِ الْكَلَامِ وَرَبْطِهِ بِبَعْضِهِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُحَاوَلَةٍ إِيْهَامِ الْمُتَلَقِّيِّ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ الثَّانِيَةَ فِي الْجِنَاسِ مَا هِيَ إِلَّا تَكَرُّارٌ لِلْكََلِمَةِ الْأَوَّلَى، وَإِذَا تَأَمَّلَهَا الْمُتَأَمِّلُ وَجَدَهَا تَحْمِلُ مَعْنَى مُغَايِرًا.

فيا مَنْ عَرَهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ

الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ. الشَّاهِدُ (أَمَلٌ وَأَجَلٌ). النُّوعُ جِنَاسٌ الْمَطْمَعُ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا
بِنُوعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ، وَاخْتِلَافِ بِحَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ: (الميم) وَ (الجيم). إِنَّ
الْجِنَاسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِمَا فِيهِ تَشَابُهُ إِيقَاعِيٌّ، وَاخْتِلَافٌ دَلَالِيٌّ عَمِيقٌ بَيْنَ (الأمل) الَّذِي يَدْعُو الْإِنْسَانَ لِارْتِكَابِ
الذُّنُوبِ وَ (الأجل) الَّذِي سَيَكُونُ خَاتِمَةً لِحَيَاةِ ابْنِ آدَمَ الْقَصِيرَةِ، يَجْذِبُ الْمُتَلَقِّيَّ وَيَدْعُوهُ لِلتَّفَكُّيرِ الْجَدِّيِّ بِحَقِيقَةِ
الْمَوْتِ.

سَاقٌ تَرْتَحُّ يَشْدُو فَوْقَهُ سَاقٌ كَأَنَّهُ لِحَنِينِ الصَّوْتِ مُشْتَقٌّ

الْبَيْتُ مَطْمَعٌ قَصِيدَةٍ فِي فَسَادِ الْإِخْوَانِ. الشَّاهِدُ (سَاقٌ وَسَاقٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى: سَاقُ الشَّجَرَةِ، وَالثَّانِيَةُ اسْمٌ
لِنُوعٍ مِنَ الْحَمَامِ. نَوْعُ الْجِنَاسِ تَامٌّ لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِّهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ
مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ. فَضْلاً عَنِ النِّعَمِ الْمَوْسِيقِيِّ الَّذِي أَحْدَثَهُ الْجِنَاسُ فِي الْبَيْتِ، فَقَدْ وَظَّفَهُ الشَّاعِرُ فِي سَعْيِهِ
لِلِاسْتِحْوَاذِ عَلَى انْتِبَاهِ الْمُسْتَمِعِ.

وَأَنشَدَ الشَّاعِرُ فِي الْغَزَلِ قَائِلاً:

خَلَيْتُ قَلْبِي فِي يَدِ ذَاتِ الْخَالِ مُصَفِّدًا مُقَيِّدًا فِي الْأَغْلَالِ

قَدْ قُلْتُ لِلْبَاكِي رُسُومَ الْأَطْلَالِ «يَا صَاحِ مَا هَيَّجَكَ مِنْ رِيعِ خَالٍ»

الشَّاهِدُ (خَالٌ وَخَالٌ). الْأُولَى بِمَعْنَى: الشَّامَةِ أَوْ النُّكْتَةِ فِي الْبَدَنِ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى: فَارِغٌ. نَوْعُ الْجِنَاسِ تَامٌّ،
لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا فِي نَوْعِ الْحُرُوفِ وَعَدِّهَا وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ. فَضْلاً عَنِ
التَّلَاعُبِ بِالْكَلِمَاتِ النَّاتِجِ عَنِ اسْتِعْمَالِ كَلِمَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ النَّطْقِ مَخْتَلِفَةِ الْمَعْنَى، فَإِنَّ الْجِنَاسَ قَدْ رَبَطَ أَوَّلَ الْكَلَامِ
بِآخِرِهِ، وَزَادَ مِنْ تَمَاسُكِ النَّصِّ.

وَيَقُولُ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ:

فَإِذَا تَكَلَّمَ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً فِي مَغْرِبٍ أَصْغَى إِلَيْهِ الْمَشْرِقُ

الشَّاهِدُ (رَغْبَةً وَرَهْبَةً). النُّوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنُوعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِحَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ: (الْغَيْنُ) وَ (الْهَاءُ). يُرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْأَقْلَامَ تَكْتُبُ طَمَعاً فِي الْأَعْطِيَةِ تَارَةً، وَخَوْفاً مِنَ الْحَاكِمِ تَارَةً أُخْرَى، لَكِنَّ صَدَى هَذِهِ الْكِتَابَةِ يَجُولُ فِي أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، وَيُقْرَأُ فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنِ مَكَانِ كِتَابَتِهِ، وَالشَّاعِرُ هُنَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامٍ يَنْتَاسِبُ مَعَ الطَّبَاقِ الْوَارِدِ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي بَيْنَ (مَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ)، فَلَجَأَ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ إِلَى جِنَاسٍ هُوَ طَبَاقٌ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ، مِمَّا مَنَحَ الْكَلَامَ حُسْنًا وَرَوْعَةً.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي دَمِّ الدُّنْيَا وَذِكْرِ الْمَوْتِ:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَكُونُ بِدَائِمٍ

الشَّاهِدُ (نَائِمٍ وَدَائِمٍ). النُّوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنُوعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَاخْتَلَفَا بِالْحَرْفِ الْأَوَّلِ: (النُّونُ) وَ (الدَّالُّ). أَرَادَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً كَأَحْلَامِ شَخْصٍ يَنَامُ، وَأَرَادَ أَيْضاً أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تَدُومُ لَا خَيْرَ فِيهَا، فَاهْتَدَى إِلَى جِنَاسٍ يُحَقِّقُ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَ وَيَمْنَحُ الْكَلَامَ نَغْمًا وَإِيقَاعًا.

وَقَالَ فِي مَعْنَى الصَّبْرِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْحَرْبِ:

وَكَمْ أَعْدُوا وَاسْتَعْدُوا لَهُ هِيَهَاتَ لَيْسَ الْخَضَمُ كَالْقَضَمِ

الشَّاهِدُ (خَضَمَ وَقَضَمَ). الْأَوَّلَى مَصْدَرُ الْفِعْلِ (خَضَمَ) بِمَعْنَى: الْأَكْلُ بِالْأَضْرَاسِ، وَالثَّانِيَةُ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (قَضَمَ) بِمَعْنَى: الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ. النُّوعُ جِنَاسُ الْمَطْمَعِ، لِأَنَّ رُكْنِي الْجِنَاسِ اتَّفَقَا بِنُوعِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا

وَهَيْئَتِهَا الْحَاصِلَةُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ، وَاخْتَلَفًا بِالْحَرْفِ الْأَوَّلِ: (الْخَاءُ) وَ (الْقَافُ). رَغِبَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّ الْأَكْلَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ، وَالْأَكْلَ بِالْأَسْنَانِ الْخَلْفِيَّةِ، لَيْسَا مُتَسَاوِيَيْنِ. فَعَقَدَ تَشْبِيهًا لِذَلِكَ وَبِهَدَفٍ تَكْنِيفِ الْمَعْنَى وَإِعْطَاءِ مُوسِيقَى لِهَذَا التَّشْبِيهِ، قَرَّرَ أَنْ يَجْعَلَ رُكْنَيْهِ كَلِمَتَيْنِ مُتَجَانِسَتَيْنِ.

2. التَّصْرِيعُ

قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْخَمْرَةِ وَالسَّاقِي وَبَعْضٍ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ:

وَأَزْهَرَ كَالْعَيُوقِ يَسْعَى بِزَهْرَاءِ لَنَا مِنْهُمَا دَاءٌ وَبَرٌّ مِنَ الدَّاءِ

النَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ: (مُنْقَطِعٌ)، فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مُنْقَطِعٌ عَنِ الثَّانِي، أَمَّا الثَّانِي فَمُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ لِأَجْلِ حَرْفِ الْجَرِّ. يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَنِ الْخَمْرِ وَاصْفًا لَوْنُهُ الْأَبْيَضَ الْمُشْرِقَ، ثُمَّ يَحْكِي عَنْ آثَارِهِ فَهُوَ دَاءٌ وَدَوَاءٌ بِمَا يُحْدِثُهُ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ مِنْ وَهْنٍ وَضَعْفٍ وَنَشْوَةٍ وَغَبِطَةٍ. لَقَدْ لَجَأَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ إِلَى التَّصْرِيعِ هُنَا لِيَكُونَ عَلَامَةً عَلَى إِجَادَتِهِ، وَسِعَةٍ فَصَاحَتِهِ، وَغَزَاوَةِ مَادَّتِهِ.

وَقَالَ فِي وَصْفِ حَالِ الْمُحِبِّ الْمُتَمِّمِ:

فُؤَادِي رَمَيْتَ وَعَقْلِي سَبَيْتَ وَدَمْعِي مَرَيْتَ وَنُومِي نَفَيْتَ

النَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى: (كَامِلٌ)، فَكُلُّ مِصْرَاعٍ مَفْهُومٌ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْآخَرِ. يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ عَنِ لَوْعَةِ الْحُبِّ الَّذِي سَلَبَهُ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ، وَأَسَالَ دَمْعَتُهُ، وَحَرَمَهُ النَّوْمَ. فِي الْبَيْتِ حُسْنُ تَقْسِيمٍ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي أَرْبَعِ جُمَلٍ جَمِيعَ أَحْوَالِ الْمُحِبِّ: (فُؤَادِي رَمَيْتَ)، (عَقْلِي سَبَيْتَ)، (دَمْعِي مَرَيْتَ)، (نُومِي نَفَيْتَ). فَالنَّصْرِيعُ هُنَا كَانَتْ لَهُ وَظِيفَةٌ فِي الْبِنَاءِ الْفَنِّيِّ لِلْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ، وَدُونَ الْإِتْكَاءِ عَلَى النَّصْرِيعِ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى حُسْنِ التَّقْسِيمِ الْمَوْجُودِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْغَزَلِ:

أَنْتِ دَائِي وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي يَا شِفَائِي مِنَ الْجَوَى وَبَلَائِي

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ: (مُوجَّه)، حَيْثُ يُمَكِّنُ جَعْلُ الْمَصْرَعِ الثَّانِي أَوَّلًا دُونَ أَنْ يَخْتَلَّ الْمَعْنَى. يَشْكُو الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَلَمَ الْعِشْقِ، وَهُوَ يَرْغَبُ فِي أَنْ يَتَعَاطَفَ الْمُسْتِمِعُّ مَعَ حَالِهِ، فَيَلْجَأُ إِلَى التَّصْرِيعِ لِمَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى إثَارَةِ الانْفِعَالَاتِ.

وَقَالَ وَصَفًا كَلْبًا مُدْرِبًا عَلَى اقْتِنَاصِ الطَّرَائِدِ:

يَخْتَلِسُ الْأَنْفُسَ بِاسْتِلَابِهِ كَلْبٌ يُلْقَى الْوَحْيَ مِنْ كَلَابِهِ

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ: (نَاقِصٌ)، لِأَنَّ الْمِصْرَاعَ الْأَوَّلَ لَا يُفْهَمُ دُونَ أَنْ يُذَكَّرَ الْمِصْرَاعُ الثَّانِي. فَالْكَلْبُ الْمُدْرَبُ يَنْتَظِرُ إِشَارَةً مِنْ صَاحِبِهِ لِيَنْقُضَ عَلَى الْفَرِيسَةِ وَيُزْهِقَ رُوحَهَا، لَكِنَّ الشَّاعِرَ جَعَلَ فَاعِلَ الْفِعْلِ (يَخْتَلِسُ) فِي بَدَايَةِ الشَّطْرِ الثَّانِي، وَهَذَا التَّصْرِيعُ لَيْسَ مُسْتَحْسَنًا عِنْدَ أَرِيَابِ الْبَلَاغَةِ كَمَا أَشْرْنَا سَابِقًا.

وَقَالَ فِي الْهَجَاءِ:

مَا بَالُ بَابِكَ مَحْرُوسًا بِبَوَابِ يَحْمِيهِ مِنْ طَارِقٍ يَأْتِي وَمُنْتَابِ

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ: (مُعَلَّقٌ)، فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مُعَلَّقٌ عَلَى صِفَةٍ، أَتَى ذِكْرُهَا فِي أَوَّلِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي (جُمْلَةٌ يَحْمِيهِ). يَذُمُّ الشَّاعِرُ أَحَدَ أَصْحَابِ الْمَنَاصِبِ الَّذِي يُكْثِرُ الْحُجَابَ عَلَى بَابِهِ فَيَمْنَعُونَ أَصْحَابَ الْحَاجَةِ وَالزُّوَارَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ. أَدْخَلَ التَّصْرِيعُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ جَمَالِيَّةً مُوسِيقِيَّةً، وَجَعَلَ الْأَلْفَاظَ أَكْثَرَ تَوَهُّجًا.

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

مَا أَقْرَبَ الْيَأْسَ مِنْ رَجَائِي وَأَبْعَدَ الصَّبْرَ مِنْ بُكَائِي

النَّصْرِيُّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى: (كامل)، فكلُّ مِصْرَاعٍ مَفْهُومٌ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْآخَرِ. لَقَدْ أَتَاكَ النَّصْرِيُّ لِلشَّاعِرِ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ حَالَةِ الْحُزَنِ الَّتِي تَتَابَعُهُ بِسَبَبِ إِخْلَافِ الْمَحْبُوبَةِ الْمُتَكَرِّرِ لِمَوَاعِيدِهَا وَعُهُودِهَا.

طَلَّقَ اللَّهُوَ فُؤَادِي ثَلَاثًا لَا اِزْتِجَاعَ لِي بَعْدَ الثَّلَاثِ

الْبَيْتَ مَطْلَعُ قِطْعَةٍ شِعْرِيَّةٍ^{١٨٦} فِي الْغَزْلِ. النَّصْرِيُّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ: (مكرر)، بِلَفْظَةِ حَقِيقَةٍ لَا مُجَازَ فِيهَا. الشَّاعِرُ كَرَّرَ اللَّفْظَةَ الْمُصْرَعَةَ الْأُولَى (ثلاث)، لِنَتَقَقَّ الْأَسْلُوبَيْنِ (التَّكْرَارِ وَالنَّصْرِيَّ) عَلَى أَدَاءِ مُهِمَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ، وَهِيَ التَّكْثِيفُ الصَّوْتِيُّ الَّذِي يَخْرُجُ بِإِيقَاعِ الْمَطْلَعِ خُرُوجًا حَسَنًا.

وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ حَالِ الْعَاشِقِ:

قَلْبٌ بِلَوَاعَاتِ الْهَوَى مَعْمُودٌ حَيَّ كَمَيْتٍ حَاضِرٌ مَفْقُودٌ

النَّصْرِيُّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ: (مُعلَّق)، فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مُعْلَقٌ عَلَى صِفَةٍ، أَتَى ذِكْرُهَا فِي أَوَّلِ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي. لَقَدْ أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَنْقُلَ مُعَانَاتِهِ مَعَ الْحُبِّ الَّذِي أَسْقَمَ قَلْبُهُ وَجَعَلَهُ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ وَمَاذَا يَفْعَلُ. فَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِالنَّصْرِيَّ الَّذِي أَتَى بِهِ، بَلْ أَرَادَ فَوْقَ ذَلِكَ أَنْ يُطَابِقَ كَلِمَةً (مَفْقُودٌ) مَعَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، فَتَنَظَّافَرَتِ الْمُحَسَّنَاتُ بِنَوْعِيهَا؛ اللَّفْظِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ، لِإِصْطِلَاقِ الْمَعَانِي الَّتِي تَخْتَلِجُ فِي دَاخِلِهِ.

^{١٨٦} الْقِطْعَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَتَكَوَّنُ مِنْ سِتَّةِ أَبْيَاتٍ فَمَا دُونَ ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي غَزْوَةِ (مَنْتَلُون) وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا النَّاصِرُ لِإِذْنِ اللَّهِ وَافْتَتَحَ بِهَا سَبْعِينَ

حِصْنًا:

قَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا جَا وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى: (كَامِلٌ)، فَكُلُّ مِصْرَاعٍ مَفْهُومٌ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْآخِرِ.

لَقَدْ أَكْسَبَ التَّصْرِيعُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ جَمَالِيَّةَ مُوسِيقِيَّةٍ، وَأَكْسَبَهَا خِطَابِيَّةَ صَادِقَةٍ، تَعَكُّسُ حَالَةِ الشَّاعِرِ الْمُتَحَمِّسَةِ

لِهَذَا النَّصْرِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي مَدْحِ النَّاصِرِ لِإِذْنِ اللَّهِ يَوْمَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِي قَرْطَبَةِ:

يَا مَنْ عَلَيْهِ رِذَاءُ الْبَاسِ وَالْجُودِ مِنْ جُودِ كَفْكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ: (مُوجَّهٌ)، حَيْثُ يُمَكِّنُ جَعْلُ الْمِصْرَعِ الثَّانِي أَوَّلًا دُونَ أَنْ يَخْتَلَّ الْمَعْنَى. لَقَدْ

نَعَتَ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ مَمْدُوحَهُ بِصِفَاتِ الْقُوَّةِ الَّتِي لَا تُضَاهِيهَا قُوَّةٌ، وَالكَرَمِ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ كَرَمٌ، وَجَمَعَ فِي الْوَقْتِ

نَفْسَهُ بَيْنَ التَّصْرِيعِ وَالتَّجْنِيسِ بَيْنَ كَلِمَةِ (الْجُودِ) وَكَلِمَةِ (الْعُودِ) لِيُظْهِرَ مَدَى بَرَاعَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى التَّصْرِيفِ بِأَفَانِينَ

الْكَلَامِ.

بَدَا الْهَلَالُ جَدِيدًا وَالْمَلِكُ غَضَّ جَدِيدُ

الْبَيْتُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا الشَّاعِرُ بِمُنَاسِبَةِ مُبَايَعَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. التَّصْرِيعُ مِنَ

الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ: (مُكْرَرٌ)، بِلَفْظَةٍ حَقِيقِيَّةٍ لَا مُجَازَ فِيهَا. أَرَادَ الشَّاعِرُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ فِكْرَةٍ أَنْ عَقَدَ الْبَيْعَةَ قَدْ

تَمَّ فِي بَدَايَةِ الشَّهْرِ الْهَجْرِيِّ، وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ هَذَا التَّكَرُّرَ لِلتَّأَكُّدِ عَلَى أَنَّ الْأَنْدَلُسَ مُقْبِلَةٌ عَلَى عَهْدٍ جَدِيدٍ مِنَ

التَّمَكُّينِ وَالْقُوَّةِ وَالرَّخَاءِ.

وَقَالَ مَادِحاً إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَجَّاجٍ بَعْدَ تَوَلَّيْهِ إِسْبِيلِيَّةَ:

أَلَا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَجَّةٌ سَاحِلٍ من الجودِ أَرَسَتْ فَوْقَ لَجَّةِ سَاحِلٍ

التَّصْرِيعُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ: (مُكْرَرٌ)، وَلَفْظَةُ (سَاحِلٍ) الْأُولَى مَجَازِيَّةٌ، فَالْمَمْدُوحُ بَحْرٌ فِي كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ، وَالثَّانِيَةُ حَقِيقِيَّةٌ يُقْصَدُ بِهَا الْبَحْرُ الَّذِي نَعْرِفُهُ. مَزَجَ الشَّاعِرُ بَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَعَزَّزَتْ مِنْ أَثَرِ الْخَيَالِ، مَعَ الْأَثَرِ الْمَوْسِيقِيِّ لِلتَّصْرِيعِ، لِإِظْهَارِ قِيَمَةِ مَمْدُوحِهِ وَفَضْلِهِ.

3. التَّضْمِينُ وَالْإِقْتِبَاسُ

يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَزْلِ:

يَا شِفَائِي مِنَ الْجَوَى وَبَلَائِي	أَنْتَ دَائِي وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي
فِي عَنَاءٍ أَعْظَمَ بِهِ مِنْ عَنَاءِ	إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّ مَنْ لَا أَسْمَى
مَاتَ صَبْرِي بِهِ وَمَاتَ عَزَائِي	كَيْفَ لَا كَيْفَ أَنْ أَلْذَّ بَعِيشِ
أَنْ تَعِيشُوا وَأَنْ أَمُوتَ بِدَائِي	أَيُّهَا اللَّائِمُونَ مَاذَا عَلَيَّكُمْ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»	«وَلَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ

ضَمَّنَ الشَّاعِرُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ كَامِلاً: (إِسْتِعَانَةً)، دُونَ التَّنْبِيهِ إِلَى ذَلِكَ. وَهُوَ لَابِنِ الرَّعْلَاءِ^{١٨٧}. إِنَّ حُبَّ الشَّاعِرِ لِمَحْبُوبَتِهِ قَدْ سَيَّطَرَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْلَى عَلَى كُلِّ أَحَاسِيْسِهِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَتَى بِقَوْلٍ غَيْرِهِ وَأَجْرَاهُ مَجْرَى الْمَثَلِ.

^{١٨٧} عَدِيَّ بْنِ الرَّعْلَاءِ الْغَسَّانِي: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ. اشتهر بنسبته إلى أمه. وضاع اسم أبيه. وهو صاحب القصيدة التي منها البيت الشائع على كل لسان: " ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء ". أنظر إلى الأعلام (٢٢٠/٤).

وَقَالَ فِي الْعَزْلِ:

أَيَا مَنْ لَامَ فِي الْحُبِّ وَلَمْ يَعْلَمْ جَوَى قَلْبِي
مَلَامُ الصَّبِّ يُغْوِيهِ وَلَا أَغْوَى مِنَ الْقَلْبِ
فَأَنَّى لُئِمْتُ فِي هِنْدٍ مُحِبًّا صَادِقَ الْحُبِّ
وَهِنْدٌ مَا لَهَا شِبْهٌ بِشَرْقٍ لَا وَلَا غَرْبٍ
«إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْنِي»

ضَمَّنَ الشَّاعِرُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ كَامِلًا (إِسْتِعَانَةً) دُونَ التَّنْبِيهِ إِلَى ذَلِكَ. يَتَحَدَّثُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ عَنْ عَذَابَاتِ الْحُبِّ فِي قُلُوبِ الْمُحِبِّينَ رَافِضًا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ لَوْمَ اللَّائِمِينَ فِي أُبْيَاتٍ يَتَحَوَّلُ فِيهَا اسْمُ "هِنْد" إِلَى رَمَزٍ لِكُلِّ مَحْبُوبَةٍ، وَقَدْ اسْتَعَانَ الشَّاعِرُ فِي نَسِيبِهِ بِيَزِيدَ بْنِ ضَبَّةَ النَّقْفِيِّ^{١٨٨} (ت: ١٣٠ هـ) لِتَنْبِيهِ السَّامِعِ إِلَى الْإِشْتِرَاكِ مَعَهُ فِي الْمَشَاعِرِ نَفْسَهَا.

كَمْ جَنَّةٌ لَكَ قَدْ سَكَنْتُ ظِلَالَهَا مُتَفَكِّهًا فِي لَذَّةٍ وَتَتَعُمُّ
وَشَرِبْتُ فِي خَمْرِ الْعَيُونِ تَعْلُلًا فَإِذَا انْتَشَيْتُ أَجُودُ جُودَ الْمِرْزَمِ
«وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي»

ضَمَّنَ الشَّاعِرُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ كَامِلًا: (إِسْتِعَانَةً)، دُونَ التَّنْبِيهِ إِلَى ذَلِكَ. وَهُوَ بَيْتٌ لِعَنْتَرَةَ، وَقَدْ أَفَادَ مِنْ مَدْلُولَاتِ الْفَخْرِ عِنْدَ عَنْتَرَةَ، لِيَصِفَ بِهَا نَفْسَهُ.

^{١٨٨} يزيد بن مقسم النقفي، من مواليتهم، وضبة أمه: شاعر كبير، من أهل الطائف (بالحجاز) مات أبوه وخلفه صغيراً، فحضنته أمه، فنسب إليها. أنظر إلى الأعلام (١٨٩/٨).

وَأَنشَدَ الشَّاعِرُ فِي الْغَزْلِ قَائِلًا:

عَاضَتْ بِوَصْلِ صَدًّا تُرِيدُ قَتْلِي عَمْدًا
لَمَّا رَأَتْني فَـرَدَا أَبْكَى وَأَلْقَى جَهْدًا
قَالَتْ وَأَبَدْتُ دُرًّا «وَيَلُمُّ سَعْدٌ سَعْدًا»

الشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْآخِرِ مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ قَالَتْهُ "أُمُّ سَعْدٍ بِنُ مُعَاذٍ"^{١٨٩} رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ

وَفَاةِ ابْنِهَا. إِنَّ الْبَاعِثَ لِهَذَا الْاِقْتِبَاسِ هُوَ اظْهَارُ ثِقَافَتِهِ واطِّلاعه عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ.

وَقَالَ فِي فُرَاقِ الْأَحِبَّةِ:

بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ عَبْرَةً إِذْ حَمَلُوا الْهُودَجَ فَوْقَ الْقُلُوصِ
«بُكَاءُ يَعْقُوبٍ عَلَى يُوسُفَ حَتَّى شَفَى غُلَّتُهُ بِالْقَمِيصِ»
لَا تَأْسَفِ الدَّهْرَ عَلَى مَا مَضَى وَالْقَ الَّذِي مَا دُونَهُ مِنْ مَحِيصِ
«قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حَظِّهِ وَالْخَيْرُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ»

ضَمَّتِ الْأَبْيَاتُ شَاهِدَانِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا اِقْتِبَاسٌ مَعْنَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ

وَقَالَ يَتَاسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفَتُّوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(٨٥) [يوسف: ٨٤-٨٥] وَقَوْلُهُ: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا

وَأُتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٩٤) [يوسف: ٩٣-

٩٤]. فَجَعَلَ الشَّاعِرُ بُكَاءَهُ كَبُكَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِظْهَارًا لِمَدَى الْحُزَنِ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ.

^{١٨٩} كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن الأبرج، الأنصارية الخدرية: صحابية شاعرة. هي أم " سعد بن معاذ " عاشت في الجاهلية وصدر الإسلام. ومات ابنها " سعد " سنة ٥ هـ فندبته بقولها: ويل أم سعد سعد صرامة وجدا وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. فقال: كل نادبة تكذب إلا نادبة سعد!. أنظر إلى الأعلام (٢١٨/٥).

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

يا مُدِيرَ الصُّدُغِ فِي الْحَدِّ الْأَسِيلُ وَمُجِيلَ السَّحَرِ بِالطَّرْفِ الْكَحِيلُ
بَأَبِي أَحَوْرٍ غَنَّى مَوْهِنًا بِغِنَاءٍ قَصَرَ اللَّيْلَ الطَّوِيلُ
«يا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفْعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ»

ضَمَّنَ الشَّاعِرُ النَّبِيتَ الْأَخِيرَ كَامِلًا: (إِسْتِعَانَةً)، دُونَ التَّنْبِيهِ إِلَى ذَلِكَ. وَهُوَ لِزَيْدِ الْخَيْلِ (ت: ٩ هـ). إِنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ قَدْ أَعَادَ إِنْتَاجَ قَوْلِ زَيْدِ بْنِ الْمَهْلَهْلِ الَّذِي يَرُوي قِصَّةَ إِغَارَةِ بَنِي أَسَدٍ عَلَى قَوْمِهِ وَاسْتِلاِبِهِ فَرَسَهُ، لِيَخْدِمَ بِهِ تَجَرِبَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ الْخَاصَّةَ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْغَزْلِ أَيْضًا:

أَمَّا وَالَّذِي سَوَّى السَّمَاءَ مَكَانَهَا «وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»
وَمَنْ قَامَ فِي الْأَوْهَامِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بَأَثَبَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانٍ
لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ يُخْلَقْ لِهِنَّ يَدَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَحَبْسِ عِنَانٍ

مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ نَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]. يَكْشِفُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَنْ مَهَارَتِهِ فِي إِحْكَامِ الصِّلَةِ بَيْنَ كَلَامِهِ وَالكَلَامِ الَّذِي اقْتَبَسَهُ وَ «مَا مِنْ رَيْبٍ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمُقْتَبَسَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، تَزِيدُ الْكَلَامَ قُوَّةً وَبَلَاغَةً كَمَا تُضْفِي عَلَيْهِ حُسْنًا وَجَمَالًا، إِذْ تَبَدُّوا وَسَطُهُ كَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَالنُّورِ الْمُشْرِقِ، وَالْمُنْكَلَمُ عِنْدَمَا يَقْتَبِسُ بَيْنِي كَلَامَهُ عَلَى الْإِلْتِمَامِ وَالتَّلَاحُمِ وَبِهَذَا يَبْدُو كَلَامُهُ قَوِيًّا بَلِيغًا.»^{١٩٠}

^{١٩٠} عبد الفتاح بسيوني، علم البديع، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٥م، (٢٦٠-٢٦١).

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ حَالِ الْمُحِبِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَشْغُوفُ بِالْحُبِّ النَّعِبُ كَمْ أَنْتَ فِي تَقَرُّبٍ مَا لَا يَقْتَرِبُ

دَعُوْ وَدِّي مَنْ لَا يَرَعُوِي إِذَا غَضِبَ وَمَنْ إِذَا عَانَبْتَهُ يَوْمًا عَتَبَ

«إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعِنَبُ»

الشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْآخِرِ مُقْتَبَسٌ مِنْ أَمْثَالِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ^{١٩١} (ت: ٩ هـ). يَقُولُ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ

الْأَثِيرِ شَارِحاً التَّضْمِينَ وَمَقَاصِدَهُ: «وَهُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الشَّاعِرُ شِعْرَهُ، أَوْ النَّائِرُ نَثْرَهُ، بِكَلَامٍ لِّغَيْرِهِ قَصِداً لِّلِاسْتِعَانَةِ

عَلَى إِتِمَامِ الْمَزَادِ، وَتَأْكِيداً لِمَعْنَاهُ».^{١٩٢}

4. لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ

يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي الْقَدَرِ وَحْتِمِيَّةِ وَفُوعِهِ:

مَا أَنْتُمْ شَيْءٌ وَلَا عِلْمُكُمْ قَدْ ضَعُفَ الْمَطْلُوبُ وَالطَّالِبُ

تُغَالِبُونَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ وَاللَّهُ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ

الْبَاءُ حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ(اللام) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ. لِأَنَّ الْعَرَضَ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِبْثَاتُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَحْكُمُهُ بِمَقَالِيدِ

كُلِّ شَيْءٍ، رَأَى ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْاِقْتِبَاسُ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "ضَعُفَ الْمَطْلُوبُ وَالطَّالِبُ"،

وَلِزِيَادَةِ التَّأْثِيرِ أَتَى بِحَرْفٍ غَيْرِ لَازِمٍ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ، كُلُّ هَذَا يُثْبِتُ تَمَكُّنَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ مِنَ الْمُعْجَمِ اللَّغَوِيِّ،

وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْاِسْتِفَادَةِ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ إِلَى أَقْصَى حَدِّ مُمَكِّنٍ.

^{١٩١} أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مَخَاشِنَ بْنِ مَعَاوِيَةَ التَّمِيمِيِّ: حَكِيمُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَحَدُ الْمَعْمَرِينَ. عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ. اُنْظُرْ إِلَى الْأَعْلَامِ (٨/٢).

^{١٩٢} ابْنُ الْأَثِيرِ الْكَاتِبُ، الْجَامِعُ الْكَبِيرُ، تَحْقِيقُ مُصْطَفَى جَوَادٍ، مَطْبَعَةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ، ١٤٣٢ هـ، (٢٣٢).

وَيَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَصْفِ الْحَرْبِ:

وَلَمْ تَنْطِقِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِفِعْلِهَا فَالَسُنُّهَا عُجْمٌ وَأَفْعَالُهَا عُرْبُ

إِذَا مَا التَّقَوُّا فِي مَازِقٍ وَتَعَانَقُوا فَلَقِيَاهُمْ طَعْنٌ وَتَعْنِيقُهُمْ ضَرْبُ

الْبَاءُ حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ(الرَّاءُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ. إِنَّ الشَّاعِرَ بِحِكْمَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ وَمِرَاسِهِ الْأَدَبِيِّ، يُخْرِجُ قَصِيدَةً

مِنْ هَذَا النَّوعِ، دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِعَنَاءِ النَّظْمِ، أَوْ تَكَلِّفِ الْقَافِيَةِ.

وَقَالَ فِي الْعَزْلِ:

رَشَاءُ سَجَدَ الْجَمَالُ لَوْجَنْتِيهِ كَمَا سَجَدَ النَّصَارَى لِلصَّلِيبِ

عَلَيْهِ مِنْ مُحَاسِنِهِ شُهُودٌ تُوَدِّيهِهَا الْعَيُونُ إِلَى الْقُلُوبِ

الْبَاءُ حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ(الْيَاءُ) وَ(الْوَاوُ) قَبْلَهُ رِدْفٌ، (الْلَامُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ. وَقَدْ جَاءَ حَسَنًا بَدِيعًا، لِأَنَّهُ

أَتَى سَلِسًا غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ، وَلَا مَجْلُوبًا اجْتِلَابًا، وَجَاءَ كُلُّ مِنَ اللَّفْظَيْنِ مُلَانِمًا لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ.

مَا لَجَهْلِي مَا أَرَاهُ ذَاهِبًا وَسَوَادُ الرَّأْسِ مِنِّي قَدْ ذَهَبَ

قَالَتْ الْخَنَسَاءُ لَمَّا جَنُّنَهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا وَاشْتَهَبَ

إِلْتَرَمَ الشَّعْرُ (الْهَاءَ الْمَفْتُوحَةَ) قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ (الْبَاءِ)، وَيُلَاحَظُ مَعَ هَذَا الْإِلْتِزَامِ، الْخِفَّةُ فِي الْقَافِيَةِ،

وَالْجَرَسُ الْمَوْسِيقِيُّ الْعَذْبُ غَيْرُ الْمُتَكَلِّفِ.

وَيَفِيضُ دِيوَانُ الشَّاعِرِ بِهَذَا الْفَنِّ وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَيْهِ:

قَالَ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فِي مَدْحِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ:

تُمْلَا بِكَ الْأَرْضُ عَدْلًا مِثْلَ مَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَتُوضِحُ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهَا جَا

يَا بَدْرَ ظَلَمْتَهَا يَا شَمْسَ صُبْحَتَهَا يَا لَيْثَ حَوَمَتِهَا إِنَّ هَائِجَ هَا جَا

(الْأَلِفُ) الْأَخِيرَةُ وَصَلٌ، وَ(الْجِيمُ) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ(وَالْأَلِفُ) رِدْفٌ، وَ(الْهَاءُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي الْبُكَاءِ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ:

فَهُمْ عُكُوفٌ فِي مَحَارِيبِهِمْ يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ

قَدْ كَادَ أَنْ يُعْشِبَ مِنْ دَمْعِهِمْ مَا قَبَلَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي السَّجُودِ

(الدَّالَّ) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الْوَاوُ) وَ (الْيَاءُ) قَبْلَهُ رِدْفٌ، وَ (الْجِيمُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي طِفْلِ أُصِيبَ بِهِ:

يَقُولُونَ لِي صَبَّرَ فُؤَادَكَ بَعْدَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لِي فُؤَادٌ وَلَا صَبْرٌ

فُرِيخٌ مِنَ الْحُمْرِ الْحَوَاصِلِ مَا اكْتَسَى مِنَ الرَّيشِ حَتَّى ضَمَّهُ الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ

(الدَّالَّ) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الْبَاءُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي وَصْفِ السَّابِقِ مِنَ الْخَيْلِ:

وَإِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ مَاطَلَهَا الْمَدَى وَتَقَطَّعَتْ مِنْ شَأْوِهَا الْمَبْهُورِ

خَلُّوا عَنَانِي فِي الرَّهَانِ وَمَسَّحُوا مِنِّي بَغْرَةً أَبْلَقَ مَشْهُورِ

(الرَّاءُ) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الْوَاوُ) رِدْفٌ، وَ (الْهَاءُ) لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي الْخَمْرِ وَالْوُشَاةِ:

وَاشْرَبْ مُعْتَقَةً تَسْلَسُلُ فِي الْعِظَامِ وَفِي الْمُشَاشِ

حَتَّى تَرَى الْعُودَ الْمُسْنَنَ بِهَا أَرْقَ مِنَ الْخَشَاشِ

(الشَّيْنُ) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الْأَلِفُ) رِدْفٌ، وَ (الشَّيْنُ) قَبْلَهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي مَعْنَى [هَجَرَ مِنْ لَا يُبَادِلِ الْوَدَّ بِالْوَدِّ]:

وَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي الْهَجْرِ رَاحَةٌ وَفِي النَّاسِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَقْنَعُ

وَإِنَّ أَمْرًا يَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِهِ حَرِيٌّ بِجَدْعِ الْأَنْفِ وَالْأَنْفُ أَسْنَعُ

(العين) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (النُّون) قَبْلَهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي مَعْنَى [زِيَارَةِ طَيْفِ الْحَبِيبِ لَيْلًا]:

وَرَبَّ طَيْفٍ سَرَى وَهْنًا فَهَيَّجَنِي نَفَى طَوَارِقَ هَمِّ النَّفْسِ إِذْ طَرَقَا

كَأَنَّا أَغْفَلَ الرِّضْوَانُ رِقْبَتَهُ وَهْنًا فَفَرَّ مِنَ الْفَرْدَوْسِ مُسْتَرِقًا

(الْألف) حَرْفٌ وَصَلٍ، وَ (الْقَاف) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الرَّاء) قَبْلَهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ:

يَا فِتْنَةً بُعِثْتُ عَلَى الْخَلْقِ مَا بَيْنَهَا وَالْمَوْتَ مِنْ فَرْقٍ

شَمْسٌ بَدَتْ لَكَ مِنْ مَغَارِبِهَا يَفْتُرُ مَبْسِمُهَا عَنِ الْبَرَقِ

مَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ رُؤُوسِهَا لِلشَّمْسِ مُطْلَعًا سِوَى الشَّرْقِ

(الْقَاف) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الرَّاء) قَبْلَهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ أَيْضًا:

ابْتَعْتُ بِالْأَدِينِ وَالْأَدْنِيَا مَوَدَّتَهُ فَخَانَنِي فَعَلَى مَنْ يَرْجِعُ الدَّرَكُ

كُفُّوا بَنِي حَارِثٍ أَلْحَاطَ رِيحَكُمْ فَكُلُّهَا لِفُؤَادِي كُلِّهِ شَرَكُ

(الْكَاف) حَرْفُ رَوِيٍّ، وَ (الرَّاءُ الْمَفْتُوحَةُ) قَبْلَهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ مُهَنْنًا النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ فِي إِحْدَى الْوَقَائِعِ:

حَكَتْ حُنَيْنًا وَبَدْرًا وَقَعَةً نَزَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ أَرَاخَتْ مِنْهُمْ السُّبُلَا

لَمَّا أَحَاطَ ابْنُ إِيْلَاسٍ بِهِمْ يَتَسَوَا مِنْ الْحَيَاةِ وَعِضُوا الْحَنْفَ وَالْهَبْلَا

(الْأَلْف) حَرْفٌ وَصَل، وَ (الْلام) حَرْفٌ رَوِيٌّ، وَ (الْبَاء) قَبْلُهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي دَمِّ الدُّنْيَا وَذِكْرِ الْمَوْتِ:

تَأَمَّلْ إِذَا مَا نَلْتَ بِالْأَمْسِ لَذَّةً فَأَفْنَيْتَهَا هَلْ أَنْتَ إِلَّا كَحَالِمٍ

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا شَاهِدٌ مِثْلُ غَائِبٍ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ مِثْلُ عَالِمٍ

(الْهَاء) حَرْفٌ وَصَل، (الْمِيم) حَرْفٌ رَوِيٌّ، وَ (الْلام) قَبْلُهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

يَا هَلَالًا فِي تَجَنِّيهِ وَقَضِيًّا فِي تَتَنِّيهِ

وَالَّذِي لَسْتُ أُسَمِّيهِ هِ وَلَكْنِي أُكْنِيهِ

(الْهَاء) حَرْفٌ وَصَل، (الْيَاء) حَرْفٌ رَوِيٌّ، وَ (النُّون) قَبْلُهُ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ.

5. رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ

قَالَ الشَّاعِرُ فِي مَعْنَى [البُخْلِ]:

بِقَاءُ لِنَامِ النَّاسِ مَوْتُ عَلَيْهِمْ كَمَا أَنَّ مَوْتَ الْأَكْرَمِينَ بِقَاءُ

لَفْظًا (بِقَاء) مُكَرَّرَانِ. جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي صَدْرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ فِي

الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ عَنْ شَحِّ الْأَنْفَسِ، وَإِمْسَاكِ النَّاسِ عَنِ الْإِنْفَاقِ، فَالْكَرِيمُ أَصْبَحَ عُمَلَةً نَادِرَةً فِي

عَصْرِهِ، مِمَّا يَدْفَعُهُ لِلتَّشْكِيكِ بِوُجُودِ كُرْمَاءَ حَقًّا قَدْ مَرَّتْ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ "رَدَّ
الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ" مِنْ أَجْلِ الرِّبْطِ الْإِيقَاعِيِّ بَيْنَ شَطْرِ الْبَيْتِ.

وَقَالَ فِي الْخَمْرَةِ وَالسَّاقِي وَبَعْضُ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ:

وَكَفَّ أَدَارَتِ مُدْهَبَ اللَّوْنِ أَصْفَرًا بِمُذْهَبَةٍ فِي رَاحَةِ الْكَفِّ صَفْرَاءِ

لَفْظًا (أَصْفَر) وَ(صَفْرَاءِ) مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ. وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي
فِي آخِرِ الْبَيْتِ. يَقُولُ ابْنُ رَشِيْقٍ الْقَيْرَوَانِي مَوْضِعًا الْأَثَرَ الَّذِي يُحْدِثُهُ هَذَا الْفَنُّ: «يُكْسِبُ الْبَيْتَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ
أَبْهَةٌ، وَيَكْسُوهُ رَوْنَقًا وَدِيْبَاجَةً، وَيَزِيدُهُ مَائِيَّةً وَطَلَاوَةً».^{١٩٣}

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ:

فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصَحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصَحَهُ بَلِيبِ

لَفْظًا (لُبٍّ) وَ(بَلِيبِ: بِمَعْنَى عَاقِلٍ) مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ. وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ،
وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. بَعْدَ أَنْ أَطَالَ الشَّاعِرُ الْحَدِيثَ عَنِ الْعِشْقِ، مُؤَكِّدًا إِخْلَاصَهُ لِحَبِيبَتِهِ، أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ
الْمَقْطُوعَةَ الشَّعْرِيَّةَ بِتَوْضِيحِ فِكْرَةٍ مَفَادُهَا؛ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ قَدْ يَمْتَنِعُونَ عَنْ تَقْدِيمِ النَّصِيحَةِ،
كَمَا أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يُبَادِرُونَ بِالنُّصْحِ قَدْ لَا يَكُونُونَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَقَدْ عَمَدَ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ التَّصْدِيرِ إِلَى تَأْكِيدِ
الْمَعْنَى، وَتَقْرِيرِهِ فِي ذِهْنِ الْمُتَلَقِّي.

^{١٩٣} العُمْدَةُ، مصدر سابق، (٣/٢).

وَقَالَ فِي الْعَزْلِ أَيْضاً:

مُعَذِّبَتِي رِقْفًا بِقَلْبٍ مُعَذِّبٍ وَإِنْ كَانَ يُرْضِيكَ الْعَذَابُ فَعَذِّبِي

لَفْظًا (مُعَذِّبَتِي) وَ(عَذِّبِي) مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ. وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي صَدْرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. زَيْنَ الشَّاعِرِ بَيْتُهُ بَرْدَ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ لِيُظْهِرَ مَدَى تَسَلُّطِ الْمَحْبُوبَةِ عَلَيْهِ، فَالْتَّصِدِيرُ هُنَا سَاهَمَ فِي إِظْهَارِ صِدْقِ التَّجَرُّبَةِ، وَالْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَرِزُحُ تَحْتَهَا، مِنْ جَرَاءِ هَذَا الْهَيَامِ الَّذِي مَلَكَ لُبَّ الشَّاعِرِ، وَسَيَطَرَ عَلَى أَحَاسِيهِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ عِنْدَ زِيَارَةِ مَرِيضٍ:

مَا أَنْتَ وَحَدَّكَ مَكْسُوءًا شُحُوبَ ضَنْئِي بَلْ كُلُّنَا بِكَ مِنْ مُضْنَى وَمَشْحُوبٍ

لَفْظًا (شُحُوبٍ) وَ(مَشْحُوبٍ) مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ، فَكِلَاهُمَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْفِعْلِ (شَحَبَ) بِمَعْنَى: إِصْفَرَ وَذَبِلَ، وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. إِنَّ مَرَضَ الْمَمْدُوحِ الْمُوصُوفِ بِأَوْصَافِ الْكَرَمِ وَرَفْعَةِ الْمَقَامِ، قَدْ انْعَكَسَتْ عَلَى رُوحِ الشَّاعِرِ، فَأَذْبَلَتْ نَضَارَتَهُ وَغَيَّرَتْ لَوْنَ وَجْهِهِ، فإِعَادَةُ الشَّاعِرِ لِلْكَأَمَةِ هُنَا قَدْ جَعَلَهَا مَرَكَزَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ.

وَقَالَ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ:

وَلَّتْ حَمِيًّا الشَّبَابِ عَنِّي فَلَهَفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ

لَفْظًا (الشَّبَابِ) مُتَجَانِسَانِ، فَالْأَوَّلُ جَمْعُ شَابٍ، وَالثَّانِي بِمَعْنَى: مَرَحَلَةُ الشَّبَابِ، وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. فَتَطَافَرَ هُنَا فَنَّا "التَّجْنِيسِ" وَ"رَدَّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ" فِي نَقْلِ حَالَةِ الْكَأَبَةِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الشَّاعِرُ، أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ عَنْ أَيَّامِ الشَّبَابِ الَّتِي وَلَّى زَمَانُهَا.

وَقَالَ رَدًّا عَلَى الْمُنْجَمِينَ:

فَكُلُّكُمْ يَكْذِبُ فِي عِلْمِهِ وَعِلْمُكُمْ فِي أَصْلِهِ كَاذِبٌ

لَفْظًا (يَكْذِبُ) وَ (كَاذِبٌ) مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ، وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ عَنْ زُورِ ادِّعَاءَاتِ الْمُنْجَمِينَ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَطَرَ سَيَقْطَعُ هَذَا الْعَامَ بِنَاءً عَلَى حِسَابَاتِهِمُ الْفَلَكَيَّةِ، فَأَخْزَاهُمُ اللَّهُ وَأَغَاثَ النَّاسَ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ. لَقَدْ أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَبْقَى مَعْنَى "الْكَذِب" آخِرَ مَا يَبْقَى فِي أَذُنِ الْمُتَلَقِّي فَلَجَأَ إِلَى "رَدِّ الْعُجْزِ عَلَى الصَّدْرِ".

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ:

بِإِنَاثٍ فِي صِفَاتِ ذُكُورٍ وَذُكُورٍ فِي صِفَاتِ إِنَاثٍ

لَفْظًا (إِنَاثٍ) مُكَرَّرَانِ. جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي صَدْرِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. يُلْحِظُ فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْتِعَانَةَ الشَّاعِرِ بِفَنِّ الْمُقَابَلَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ بِالْمَعْنَى وَضِدِّهِ، فَالنِّسَاءُ أَصْبَحْنَ مُتَشَبِّهَاتٍ بِالرِّجَالِ، وَالرِّجَالُ أَصْبَحُوا مُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ، فَجَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بَيْنَ فَنَيْنِ لِيَكُونَا لَهُ عُنَاً فِي إِيصَالِ الْفِكْرَةِ الَّتِي يُعَالِجُهَا.

وَقَالَ الشَّاعِرُ مُخَلِّدًا الْإِنْتِصَارَ بِعَزْوَةِ "مَنْتَلُونَ":

أَدْخَلْتُ فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ مَارِقَةً أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ دِيَارِ الشُّرْكِ إِخْرَاجًا

الْبَيْتِ الشَّعْرِيُّ مَأْخُودٌ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، تَتَعَنَّى بِالظَّفَرِ الَّذِي كَسَرَ شَوْكَةَ النَّصَارَى، وَأَعَادَ لِلْمُسْلِمِينَ عِزَّهُمْ، فِي بَدَايَةِ عَهْدِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ. لَفْظًا (أَخْرَجْتَهُمْ) وَ (إِخْرَاجٍ)، مُلْحَقَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ. وَقَدْ جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي صَدْرِ الشَّطْرِ الثَّانِي، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. إِنَّ الْمَوْقِعَ الْإِعْرَابِيَّ لِلْفِظَةِ "إِخْرَاجًا" هِيَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ جِيءَ بِهِ لِتَوْكِيدِ مَعْنَى الْفِعْلِ، وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فَإِنَّ أَحَدَ وَظَائِفِ "التَّصْدِيرِ" هِيَ تَأْكِيدُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهَا، إِذَنْ فَهُنَاكَ مُنَاسَبَةٌ وَاضِحَةٌ بَيْنَهُمَا فَكِلَاهُمَا يُؤَدِّيَانِ الْوُظَيْفَةَ ذَاتَهَا.

وَقَالَ فِي مَعْنَى [الصَّبْرِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْحَرْبِ]، وَذَكَرَ الْقَائِدُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عَبْدِ:

لَيْنٌ عُرِفَ الْجِهَادُ بِكُلِّ عَامٍ فَإِنَّكَ طَوَّلَ دَهْرَكَ فِي جِهَادٍ

لَفْظًا (جِهَاد) مُكَرَّرًا. جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. الشَّاعِرُ يُثْنِي عَلَى الْقَائِدِ بِكُلِّ قَوْلٍ حَسَنٍ، فَمَمْدُوحُهُ قَدْ وُلِدَ لِلْحَرْبِ، يُقِيلُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، أَمَّا بَيْتُهُ فَهِيَ صَهَوَاتُ الْجِيَادِ، وَقَدْ كَرَّرَ لَفْظَةَ "الْجِهَادِ" لِيُؤَكِّدَ أَنَّ جِهَادَ هَذَا الرَّجُلِ لَيْسَ لَهُ مُوسِمٌ مُحَدَّدٌ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْغَزَلِ:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

اللفظانِ (تَسْتَطِيعُ) وَ (تَسْتَطِيعُ) مُكَرَّرًا. جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ عَنْ أَلَمِ فَقْدِ الْحَبِيبِ الَّذِي أَرْقَاهُ وَحَرَمَهُ النَّوْمَ، كَمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ شَوْقِهِ الَّذِي لَمْ يَضَعْفُ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ، وَيُمْكِنُ مُلَاحَظَةُ وُجُودِ طِبَاقِ سَلْبٍ بَيْنَ (لَمْ تَسْتَطِيعُ) وَ (تَسْتَطِيعُ)، لِيَتَنَظَّافَرَ الْمُحْسِنَانِ وَيُسَهِّمَا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ حَالَةِ الْحُزَنِ الَّتِي أَلَمَتْ بِهِ.

وَقَالَ فِي الْبَيِّنِ:

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَفْطَعُ يَوْمٍ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ

لَفْظًا (فِرَاق) مُكَرَّرًا. جَاءَ أَحَدُهُمَا فِي حَشْوِ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. إِنَّ الشَّاعِرَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ مَدَى صُعُوبَةِ انْفِصَالِ الْأَحْبَةِ، وَهُوَ بِإِعَادَتِهِ لِكَلِمَةِ "فِرَاقٍ"، قَدْ جَعَلَهَا مَرْكَزَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ، لِأَنَّهَا الْفِكْرَةُ الَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَى عَقْلِ الشَّاعِرِ.

الخلاصة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تخص المحسنات اللفظية في ديوان الشاعر ابن عبد ربّه الأندلسي وهي كالتالي:

- ١- إن ابن عبد ربّه قد أولى الجنس عناية كبيرة، فحفل ديوانه بألوان الجنس وخصوصاً جناس المتمع وبدرجة أقل الجنس المزدوج والتّام، بينما لم نَقع في ديوانه على جناس مُركّب أو خطّي أو مُخالف، وهذا دليل على أن الشاعر لم يتصنع الجنس ولم يستخدمه إلا خدمة للنص، وقد طوّعه لإحداث نغم موسيقي يُثير النفس وتطرب إليه الأذن، ولتأدية حركة ذهنية تُثير انتباه المتلقّي، بما تحويه على مفاجئة تُقوي المعنى وتوضّحه.
- ٢- إن تتبع شعر ابن عبد ربّه يُظهر أنه كان يفتتح معظم قصائده ببيت مُصرّع، وامتد ذلك ليشمل القطع الشعرية القصيرة التي تتكوّن من بيتين أو ثلاثة أبيات شعرية. كما يُلاحظ أن ابن عبد ربّه قد نوع من تصاريحه فجميع مراتب التصريح التي أشار إليها ابن الأثير، موجودة دون طغيان مرتبة على باقي المراتب.
- ٣- الملاحظ وجود نمط سائد في تضمين ابن عبد ربّه الأندلسي، هذا النمط يعتمد تضمين بيت كامل، وجعله في آخر القصيدة، مع عدم الإشارة إلى صاحبه. ويُلاحظ أيضاً كثرة التضمينات، فمعظم القصائد الطويلة قد خُتمت ببيت مُضمّن، وكأنّه قد استهدف من ذلك إظهار معرفته وإحاطته الواسعة بأشعار العرب. أمّا الإقتباس فهو قليل، وربما يتناسب ذلك مع ما عُرف عن الشاعر من حياة لاهية لازمتها طول فترة شبابه.
- ٤- إن الغالب في لزوم ما لا يلزم عند الشاعر، يتمثل في التزام حرف قبل حرف الروي.
- ٥- ازدانت قصائد ابن عبد ربّه بفنّ "ردّ الصدر على العجز" ولا سيما قصائد الغزل، فلا يخلو بيت أو بيتين من القصيدة منه إلا واحتوى الثالث عليه، ولا يستغرب ذلك وخصوصاً أن الإكثار من فنون البلاغة كان

سِمةً بَارِزَةً مِنْ سِمَاتِ شِعْرِ عَصْرِهِ. وَيُلَاحِظُ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ كَانَ عَلَى الْعُمُومِ يَزُدُّ الصَّدْرَ عَلَى الْعَجْزِ مُسْتَعْدِمًا
الْأَلْفَاظَ الْمُكَرَّرَةَ وَالْمُلْحَقَةَ الَّتِي يَجْمَعُهَا الْإِشْتِقَاقُ بَيْنَمَا لَا نَكَادُ نَلْمَحُ اسْتِعْمَالَهُ الْأَلْفَاظَ الْمُتَجَانِسَةَ أَوْ الْمُلْحَقَةَ الَّتِي
يَجْمَعُهَا شِبْهُ الْإِشْتِقَاقِ.



المصادر والمراجع والمعاجم

1. المصادر

القرآن الكريم.

صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

١- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد حوفي وبديوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢- ابن الأثير الكاتب، الجامع الكبير، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٤٣٢هـ.

٣- أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٤- ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير، تحقيق حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة.

٥- أمرؤ القيس، الديوان، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٦- البحتري، حماسة البحتري، تحقيق محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة، أبو ظبي، ٢٠٠٧م.

٧- البحتري، الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

٨- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٩- أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

- ١٠- أبو تمام، الديوان، تحقيق محي الدين الخياط، نظارة المعارف العمومية الجليّة.
- ١١- حسّان بن ثابت، الديوان، شرح عبدأ مهنا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٢- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.
- ١٣- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، دار المصريّة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.
- ١٤- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.
- ١٥- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ١٦- أبو دهل الجُمحيّ، الديوان، تحقيق عبد العظيم عبد المُحسن، مطبعة القضاء، النّجف، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- ١٧- ابن الروميّ، الديوان، تحقيق أحمد حسن بسّج، دار الكُتب العلميّة، بيروت.
- ١٨- الرّمخسريّ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٩- ابن سناء الملّك، الديوان، تحقيق محمّد ابراهيم نصر وحُسين مُحمّد نصّار، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٩.
- ٢٠- ابن سنان الخفاجيّ، سر الفصاحة، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.
- ٢١- شهاب الدين المقرّي، نفح الطيّب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ٢٢- شهاب الدين النويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣- صاحب بن عبّاد، الديوان، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة النهضة، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

٢٤- صلاح الدين الصفدي، جنان الجناس في علم البديع، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

٢٥- صلاح الدين الصفدي، توشيع التوشيح، تحقيق ألبير مطلق، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٦- أبو العباس التيفاشي، سرور النفس بمذكر الحواس الخمس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢٧- ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسى الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- ابن عبد ربه، الديوان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٢٩- ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، (٤٩/٧).

٣٠- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

٣١- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٢- عبد الله العرجي، الديوان، تحقيق خر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.

٣٣- عماد الدين الكاتب الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩م.

٣٤- عنتر بن شدّاد، ديوان عنتر، تحقيق محمد سعيد المولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٠.

٣٥- عبيد الأبرص، الديوان، تحقيق أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

٣٦- الفتح بن خاقان، مَطْمَعُ الأنفس وَمَسْرُحُ النَّاسِ، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمّار، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٣٧- الفرزدق، الديوان، تحقيق علي الفاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣٨- ابن الفرّضيّ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

٣٩- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، تحقيق محمد مفتاح، مطبعة دار الثقافة، الدّار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

٤٠- المتنبي، شرح الواحدي لديوان المُتنبّي، تحقيق ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرّائد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤١- المتنبي، شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، دار القلم، بيروت.

٤٢- محمد بن سعيد القيرواني، مسائل الانتقاد، المكتبة الشاملة.

٤٣- مُحمّد بن عرفة الدّسوقيّ، حاشية الدّسوقيّ على مُختصر المعاني، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت.

٤٤- مُحمّد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات، تحقيق عبد القادر حُسين، مكتبة الآداب، ١٩٧٩.

٤٥- ابن المُعْتزّ، البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٦- ابن المُعْتزّ، البديع في نقد الشعر، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

٤٧- ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٤٨- أبو منصور الثّعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قمحية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٣م.

- ٤٩- النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- ٥٠- أبو نوّاس، الديوان، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٥١- أبو هلال العسكري، الصناعاتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤١٩هـ.

2. المراجع:

- ١- جبرائيل سليمان جبّور، ابن عبد ربّه وعقده، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- ٢- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- ٣- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- ٤- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٥- عبد الفتاح بسيوني، علم البديع، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- ٦- عبد المتعال الصعيدي، بغيّة الإيضاح، الطبعة السابعة عشر، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.

3. المعاجم:

- ١- أحمد مختار عبد الحميد عُمر، معجم اللغة العربية، المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٢- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٣- ابن دُرَيْد، جَمَهَرَةُ اللُّغَةِ، تَحْقِيقُ رَمَزِي مُنِير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ٥- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

- ٦- مَجْدِي وَهبة وَكامل المُنْهَدِس، مُعْجَم المِصْطَلَحَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، مَكْتَبَةُ لُبْنَان.
- ٧- مُرْتَضَى الزُّبَيْدِي، تَاج العَرُوس، تَحْقِيق مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُتَخَصِّصِينَ، دَارُ الْهِدَايَةِ، الْكُوَيْت، ١٩٦٥م.
- ٨- ابْن مَنظُور، ابْن مَنظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ، دَارُ صَادِر، بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، ١٤١٤هـ.

